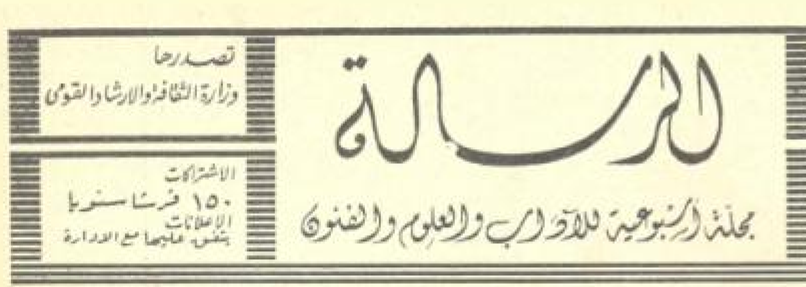


الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

العدد ١٠٣٣ ـ ١٤ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ ـ ٢١ اكتوبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

		الصفحة
من حديث المرأة	: بقلم احمد حسن الزيات	١
إسبوع الكتاب العربي	: د. محمد احمد خلف الله	٤
المادية الاسلامية وابعادها	: د. عبدالمنعم خلاف	٧
الحس المأسوى	: د. عز الدين اسماعيل	٩
الانسان والقيم الروحية	: فتحي عثمان	١٢
بين بلفور والميثاق	: د. سعد الدين الجيزاوى	١٥
ابو تمام والتجديد	: د. عبدالرحمن عثمان	١٧
محرم شاعر الاسلام «قصيدة»	: علي احمد باكثير	٢٠
من انت «قصيدة»	: كمال نشات	٢١
من اغاني الصباح «قصيدة»	: محمد مصطفى الميجى	٢١
خواطر وآمال	: للمستشار انور حجازى	٢٢
خواطر الأسبوع	: محمد عبدالله السمان	٢٦
مع الكتاب العربي	: تحسين عبد الحى	٢٨
تعقيبات	: عباس خضر	٣٠
في عالم الفن	: عبدالفتاح البارودى	٣٢
اخبار علمية وادبية	:	٣٦
البريد الادبي	:	٣٧
البقطة « قصة العدد »	: د. نجيب الكيلاني	٣٩

من حديث المرأة

بقلم : أحمد حسن الزيات

(٣)

مضت فترة طويلة على كتاب الآنسة (حياة) الذى ترجمت لك أكثره فلم تكتب الى الرسالة ولم تتحدث الى . وعلة هذا الصمت أن قلمها لا يجـــرى وان لسانها لا يتحرك الا فيما يدور حول المرأة من قول وما يصدر عنها من فعل . لذلك لم تكد تقرأ لى فى الرسالة مقالا عن المصرية الجديدة والزوجة الصالحة حتى مدت سبابتها الى قرص التليفون ودعتنى لأول مرة الى الحديث معها عن ذلك المقال .

أما المقال فقد عناها منه قول فيه :

« ان المنزل عالم اصغر ينطوى فيه العالم الاكبر . واذا كانت الأمة هى الأسرة مكـــررة ، والوطن هو الدار مكبرة ، فان المرأة القائمة على شئونهما تحتاج من الثقافة والحصافة الى ما يحتاج اليه رجل الدولة ان فى البيت حجرة طعام وغرفة نوم وبهو استقبال وقاعة مكتبة وحديقة زهر . ولكل مكان من هذه الامكنة ثقافة خاصة لابد للمرأة الصالحة أن تحذقها جميعا .

قد تكون الزوجة ابصر النساء بفنون الطبخ وشئون

المطبخ واصول المائدة ، ولكنها تكون اجهلهن بما يجب لمهد الطفل وسرير الزوج ومدفأة الأسرة وبهو الضيوف . واذن لا تعدو أن تكون طاهية .

وقد تكون الزوجة اقوم على رعاية الطفل والزوج، واضبط لحساب الدخل والخرج ، واحزم في سياسة العمال والخدم ، ولكنها تكون عامية الفكر خشنة الجانب مبتذلة الهندام ، فلا تعدو ان تكون مدبرة منزل .

وقد تكون الزوجة بطبيعتها ولودا فتتوزعها الآلام والاسقام والشواغل في الحمل والوضع والرضاع والفطام والتربيب والتهذيب والتمريض، فلا يبقى من جهدها طاقة للبيت ، ولا من وقتها ساعة للناس ؛ ولا في قلبها مكانة للزوج ، فلا تعدو أن تكون والدة .

وقد تكون الزوجة اجذب أنوثة من كليوبطرة ، واعذب حديثا من شهرزاد ، وافتن رشاقة من حسان هوليود ، ولكنها تكون خرقاء لا تجيد العمل ، حمقاء لا تحسن التدبير ، فلا تعدو أن تكون حليلة .

وقد يقتصر مدلول البيت في ذهن السيدة على غرفة الزينة وقاعة المطالعة وبهو الاستقبال ، فهي ترقب الحديث من الأزياء ، وتناقش الطريف من الآراء ، وتقرأ الجديد من الكتب ، ولكنها تعيش على هامش الاسرة عيش الترف والظهور والحذلقة فلا تعدو أن تكون أديبة .

وليست المرأة الصالحة لمملكة البيت واحدة من اولئك ، وانما هي هن جميعا . هي مخلوقة من نوادر الخلق ركبها الله من مجموع ما تشتت من الفضائل في هؤلاء النسوة ، كما ركب الاغريق (فينوس) من جملة ما تفرق من الجمال في مختلف الحسان " . . . » .

***

واما الحديث فقد كان — بعد استئذان صاحبته — لحنا تألف من رخامة الصوت وعذوبة المنطق وحلاوة الجرس وحسن الاداء . كان نفحة من الروح الذى يشيع فيما تكتب ، وومضة من الذكاء الذى يشع فيما تقول . ولكن طابع الأنوثة كان فيما تقول أبرز منه فيما تكتب . لان حديث الجنسين اذا كان فما لاذن يختلف عنه اذا كان قلما لذهن .

قالت (حياة) بعد الجمل المألوفة بين نفسين تعارفتا على البعد وتألفنا عن طريق القلم : « فضلت هذه المرة أن أحدثك في التليفون على أن أحدثك في الرسالة ، لان رأيك فيما يجب أن تكون عليه المصرية الحديثة ليس موضع نقاش ولا خلاف . وهو رأيي ورأى جميع المثقفات اللاتى قرأنه معى ورأين فيه غاية الكمال النسوى في مجتمع لا يزال يتأرجح بين المحافظة والتحرر .. ولو كنت كتبته أنا لكان مقالك صورة منه وعبارة عنه . فأنا أريح نفسي من الكتابة وأريحك من الترجمة . وأحب قبل أن أضع السماعة ان اقرأ عليك جملة من مقالك أعجبت بها كل الاعجاب ورضيت عنها كل الرضا ، فاسمعها لتعلم كيف أقرأ العربية ؛ كما علمت كيف اكتب الفرنسية . ثم فتحت الرسالة على المقالة واخذت تقرأ :

« ... وهنا ابتدرني الشيخ الفقيه الى الكلام فقال :

لا يجوز في الدين ولا في العقل أن تكون حواء خيرا من آدم . ذلك أنها خلقت من ضلع أعوج . فمن طبيعتها ألا تستقيم . وما لا يستقيم لا يصدر عنه استقامة ولا عدل، ولو أن الله أراد لها غير ذلك لخلقها من رأس آدم فهيمنت عليه ، أو من احدى جوارحه فسعت معه فقلت : ولم لا يكون لخلقها من ضلع آدم حكمة اخرى يا أستاذ ؟ أليس في خلقها من أحناء صدره تعيين لوظيفتها وتوجيه لرسالتها ؟ ان حنوها على الزوج والولد ، كحنو الضلوع على القلب والكبد، والأسرة التي تشتمل عليها المرأة هي العضو الرئيسي في جسم الامة ، كما ان الاجزاء التي تشتمل عليها الضلوع هي الاعضاء الرئيسية في جسم الانسان» .

كانت لهجتها سليمة ونبراتها واضحة واخطاؤها قليلة فقلت لها لم لا تحاولين وقد بلغت من ثقافة لغتك مبلغا لا بأس به أن تجربي قلمك العربي في التعبير عن مشاعرك النسوية لأختك المصرية ؟ فضحكت ثم قالت سأحاول ...

وانسدل بيني وبينها حجاب الغيب حينا من الزمن حتى رفعته هي بهذه الرسالة :

استاذي العزيز :

مزقت خمس مسودات كتبتها بالعربيـة لانى لم أرض عن واحدة منها ، وفضلت آخر الأمر أن أكتب اليك بالفرنسية بعـد ما تبين لى أن عربيتى لا تزال عاجزة عن رياضة هذا القلم فى يدى . فاذا كتبت بها اليك كما وعدتك أهملت ما أكتب فتسى، الى . او اعملت فيه قلمك فتزوره على . وانا كسائر بنات جنسى مستكبرة أنوفة فلا احب أن اكـون من بنى جنسك فى موضع الاهمال أو المعونة .

أكتب اليك فى صباح ليلة ساهرة ثائرة تقسمت مشاهدها العجيبة خواطرى ومشاعرى ، فكأننى لم اشهد قبلها ليلة ١٠٠١ والحق أن ليلة (مبرة محمد على) فى هذا العام كانت بدعا فى نظامها وبرنامجها والاحتفال بها والاقبال عليها والديمقراطية فيها .

لقد كان قصر المعرض بالجزيرة معرضا حقيقيـــا لمجتمعنا الحديث . فالأميرات والعقيلات والآنسات والممثلات يصاحبهن أو يراقصهن أو يجاورهن الامراء والكبراء والموظفون ورجال الفن ، وكلهم على النمط الغربى الرفيع فىأناقة الزىورشاقة الحركةواسلوب التحية ومراعاة الرسوم واجادة الرقص . حتى خيل الى أن الحفلة فى (الجران باليه) ببـــاريس لا فى السراى الكبرى بالقاهرة !

كنت أتنقل أنا وزوجى من مقعد الى مقعـد ، ومن مشهد الى مشهد،فى مسرح اللهو : وفىحلبةالرقص، وفى (القهوة البلدية) فاجـد أخلاطا من النـــاس يشتركون فى المظهر ، ولكنك تسـتطيع أن ترجعهم الى بيئاتهم المختلفة عن طريق الهندام ولهجة الكلام واختلاف الوضع . يسهل ذلك التمييز فى الرجال ويصعب كل الصعوبة فى النساء ، لان المرأة بفضل السينما والرياضة استطاعت أن تسبق الرجل فى مضـمارالمدنية الغربية، فهى فى اتقانزينتها وانسجام سمتها لا تختلف عن كواكب الشاشة . أما الرجل فهو بطىء التطور عصى الطبع لا يغشى امثال هـــذه الحفلات الا مسوقا بارادة زوجته أو ابنته . لعلك تذكر انى قلت لك منذ خمس سنوات فى رســالة كتبتها اليك : ان حرية المرأة كحرية الامة سبيلهما الفعل وحجتهما القوة...وما كان يهجس فىصدرى ان المرأة المصرية تستطيع فى هذه المدة القصيرة أن تنزع من يد الرجـل زمامهـا ثم تغلبـه على ارادته وكرامتـه فتروضه هـذه الرياضة وتخضعه هـذا الخضوع !

لقد كنت ارى المرأة فىهذه الليلة تراقص الغريب وتضاحك الكاس وزوجها وأبوها يهيىء لها فرصـة التعارف ويسعى لها بوسائل اللذة . فأجـدنى أنا داعية الحرية النسوية بالأمس ، اشد الناس ضيقا بها وسخطا عليها اليوم ، لان هذه الحرية ـ بالقياس الى الحرية التى كنا ننعم بهـا وندعو اليها ـ اباحية وفوضى . وذلك فى الحق علة ما نرى من التنـافر بين الفتى والفتاة . فقد كان الظن أن يزول بالتعلم ما بينهما من تنافر العلم والجهل ، فاصـبح هـذا التنافر معززا بتنافر الحشمة والتهتـك . وما دام التلاؤم مفقودا بين الجنسين اما لتقدم الرجل عـلى المرأة فى العلم ، واما لتقدمها هى عليه فى المدنية ، فهيهات أن تنفرج ازمة الزواج او تسـتقيم حال الأسرة !

***

كانت هذه الحفلة فى السنين الخوالى مظهرا للحرية القصد والبر الخالص . فما زالت عوامل التقليـد والتجديد تلح على مزايا الانوثة وخصـائص الجنس حتى اصبحت معرضا للجمال والدلال والزينـة . وذلك بالطبع سر نجاحها ورباحها،وهو مغنم لغايتها الشريفة على أى حال .

انى ألح على المرأة فى نادى السيدات وفى بعض الحفلات نزوعا الى تعدى الحدود التى جعلها الله بينها وبين الرجل ، فاذا لم نعالجه بالفطام والكبح أعضل الأمر وفسد المجتمع . ولعل يا أستاذى أشـير فى الرسالة الى مواطن الداء الحين بعد الحين ليتسنى لأرباب القلم وصفه ، ويسهل على اقطــاب الحكم علاجه ... » .

(حياة)

المعادى فى ١٩٣٩/٢/٢٣

تلك هى رسالتها الاخيرة فى حياة الرسالة الاولى أما رسالتها الاولى فى حياة الرسالة الثانية فهى بقية الحديث فى العدد القادم .

أحمد حسن الزيات

أسبوع الكتاب العربي

للدكتور محمد احمد خلف الله

لا يكاد القادم من القاهرة الى أرض المعارض بالجزيرة يتخطى عتبات الباب الكبير المواجه لتمثال سعد زغلول وكوبرى قصر النيل الا ويأخذ ببصره لافتات خشبية مستديرة ، مكتوب عليها عبارات تأخذ بلبه وتشعره بأنه قد أصبح فى حرم مقدس هو حرم الكلمة المكتوبة ٠

ان هذه العبارات قد أخذت من الميثاق الوطنى ، وجعلت شعارات لأسبوع الكتاب العربى ٠ وهى فى جملتها موحية ٠ انها تدفع الانسان الى أن يخرج عن حدود الحاضر ، والى أن يحلق فى آفاق المستقبل ، والى أن يكون فى تحليقه واعيا ، مدركا ، متخذا من العقل سلاحا ، ومن العلم وسيلة ٠

والشعارات المذكورة تكشف عن الدور الذى أعده الميثاق للكتاب فى حياتنا الثورية ـ انه الذى يساعد كل المساعدة على احداث التغييرات الجذرية التى يخرج بها من هذا المجتمع المتخلف المريض الى مجتمع متقدم قوى البنية ٠

تذهب بعض الشعارات الى المناداة باحداث الكلمة المكتوبة ، وبتشجيع الكلمة المكتوبة ٠

من الأمور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل الوطنى ، أن يكتبوا افكارهم ٠

من الزم الأمور تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها ٠

وتذهب بعض الشعارات الى الكشف عن قيمة الكلمة الحرة فى البناء الديمقراطى للأمة حتى ليشعر القارىء بأن الكلمة الحرة هى الأساس فى كل بناء ديمقراطى ٠

ان الكلمة الحرة هى المقدمة الأولى للديمقراطية ٠

ان الكلمة الحرة ضوء كشاف امام الديمقراطية السليمة ٠

اما الشعارات الأخرى فتكشف عن دور العلم فى الحياة ، وعن قيمة العلم بالنسبة الينا سواء أكان ذلك فى اقامة البنيان الداخلى أو فى رد الاعتداء الخارجى ـ ومن هنا حاربت هذه الشعارات احتكار العلم ، ونادت هذه الشعارات بأن يكون العلم للجميع ، ووجهت هذه الشعارات حياتنا العلمية الوجهة التى تؤكد ذاتيتنا وتحقق أهدافنا ، وترد للعقل هيبته وللفكر سلطانه ٠

ان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية ٠

ان العلم للمجتمع يجب ان يكون شعار الثورة الثقافية ٠

ان العلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية ٠

ان الوضوح الفكرى أكبر مايساعد على نجاح التجربة ٠

ان العلم للمجتمع يجب أن يكون شعاره : الثورة الاشتراكية ٠

والقادم حين ينتهى من قراءة هذه الشعارات يجد نفسه بين بنائين كبيرين ٠ احدهما عن يمين والآخر عن شمال ٠ احدهما قد خصص للعرض والثانى خصص لأعمال المؤتمر وللندوات الثقافية الخاصة بأسبوع الكتاب ٠

افتتح أسبوع الكتاب السيد الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى ، وافتتح مؤتمر الكتاب السيد يحيى ابو بكر الوكيل المساعد للشئون الثقافية والشئون الاعلامية بوزارة الثقافة والارشاد القومى ، وأكد كل منهما فى حديثه عن الكتاب العناية التى تبذلها الوزارة وتبذلها الثورة فى سبيل هذا الكتاب ٠

أكد الدكتور عبد القادر حاتم تلك المعانى التى تشير الى ماضينا مع الكتاب متخذا منها أساسا لتخطيط مستقبلنا مع هذا الكتاب ٠ ولعله أن يكون من الخير أن أنقل اليك ـ قارئى العزيز ـ بعض ماقال السيد الوزير :

ان لبلادنا بالنسبة للكتاب وللمعرفة ووسائلها تراثا مجيدا يرتبط ارتباطا وثيقا بجذور الثقافة الأصيلة لهذا الشعب ٠ وعلى مر السنين والعصور كانت هذه الجذور العميقة تغذى مقاومة شعبنا للاستعمار الثقافى ، والاقطاع الثقافى ، ولمحاولات التسلط على اختلاف اتجاهاتها ودوافعها ٠

ومن اهداف ثورتنا الثقافية أن تحرر هذه الجذور

الأصيلة وأن تجعل من التراث المجيد دعامة للتقدم والنهضة الفكرية .

ولكن لا يكفي مطلقا أن يكون لنا في الكتاب تراث مجيد ، ولا أن نقول: أن القاهرة كانت كعبة الراغبين في المعرفة على مر العصور ، فالواقع والمسئولية التاريخية ازاء شعبنا وازاء بقية الامة العربية يمليان علينا أن نضع نصب أعيننا اتاحة فروع المعرفة كلها للملايين من ابناء امتنا عن طريق الكتاب العربي . وقد حملت القاهرة هذه المسئولية عن جدارة وأصبحت بالنسبة للحاضر والمستقبل مركزا للاشعاع الثقافي للعالم العربي كله .

والكتاب ، كما تعلمون ، يشغل مركزا رئيسيا بين أدوات الثقافة فهو ركنها الثابت ووسيلتها الدائمة ، الى جانب بقية الوسائل الهامة الأخرى التي يمكن بتضافرها والتنسيق فيما بينها أن تؤتي الثورة الثقافية ثمارها وتبلغ اهدافها .

ولابد لنا ونحن نحتفل ببداية اسبوع الكتاب العربي أن نشير الى حقيقتين هامتين للغاية تتعلقان بالكتاب كمسئولية يحملها جميع المشتغلين بالكتاب من ناشرين ومؤلفين وقراء :

اولاهما أن توسيع قاعدة الثقافة ، والتمكين لشعبية الكتاب واتاحة القراءة المفيدة الممتعة لملايين الشعب ، لا يعني ذلك بحال من الأحوال امتهان الثقافة أو النزول بمستوى الكتاب ، بل انه في الواقع دافع الى مزيد من الاتقان والاجادة وتقدير المسئولية التي تقتضيها هذه الأمانة الكبرى ، وآلاف الكتب المعروضة في هذا الأسبوع خير دليل على ذلك .

الحقيقة الثانية هي أن ثورتنا الثقافية ذات الأهداف الواضحة وذات المهمة الجادة الخطيرة التي تعرفونها ، ليس فيها مكان للمراهقة الفكرية أو الارهاب الفكري، وليس فيها مجال للعبث أو المتاجرة بالقيم الثورية التي تنبض بها الثقافة في مجتمعنا الجديد .. ولا يتعارض ذلك مع حرية النقد البناء التي كفلها الميثاق والتي نعتبرها ضرورة لسلامة بنائنا الثقافي .

ان الاخلاص والايمان عاملان جوهريان في كل عمل مرتبط بالثقافة الشعبية وهما ألزم مايكونان بالنسبة للكتاب العربي الذي يعتبر ركنا اساسيا في التكوين الفكري .. وبالتالي في المستوى الثقافي للشعب .

وأكد الاستاذ يحيى أبو بكر المعاني التي تدور حول مكان الكتاب من بين وسائل التثقيف والاعلام ، وحول مشكلات الكتاب التي يجب أن يدور حولها البحث والتي يجب أن تنتهي منها الى نتائج قيمة تنهض بالكتاب ، وتحله المحل اللائق به . ولعله من الخير أن أفعل هنا ما فعلته هناك من وضع بعض الفقرات تحت أعين القراء وأمام بصيرتهم .

***

ان لكل وسيلة من وسائل الثقافة وأجهزتها دورها في هذا البناء، ولكنه دور يمثل العنصر الدائم الثابت في النسيج الثقافي ، واقصد بهذا أن وسائل الاعلام والثقافة تقدم في جملتها مجموعة من التأثيرات تتكون من انطباعات عديدة في نفس القارىء والمستمع والمشاهد ، ولكن أدومها وأقربها صلة بالانسان هو الكتاب الذي يحتفظ به القارىء ويرجع اليه ويجده في متناوله وقتما يشاء ..

والاهتمام بالكتاب ومستقبله ومشكلاته أمر طبيعي في ظل ميثاقنا الوطني الذي أكد ضرورة اتاحة الفرصة لتنمية ثقافة خلاقة نابضة بالقيم الجديدة..

هذا كله يقودنا الى لب المسألة وجوهرها والى النقطة التي ينبغي أن تبدأ منها المناقشات في هذا المؤتمر ..

اولا : أن الكتاب عملية خلق متكاملة تلتقي عندها جهود مشتركة يجب توفير التناسق فيما بينها ..

ثانيا : ان الكتاب لا يصبح كتابا في الواقع بمجرد تاليفه او طبعه بل ان من الاهمية بمكان أن يصل الى يد القارىء . وحتى هذا لا يكفي وحده ولا يتحقق الغرض من الكتاب ولا تتم الدائرة الثقافية الا اذا قرأه القارىء فعلا وحدث نوع من التجاوب بينه وبين الكتاب ..

من أجل ذلك رأت لجنة اسبوع الكتاب العربي أن تدور المناقشات حول موضوعات اربعة هي : دور الكتاب في الثورة الثقافية ، والطباعة ، والنشر ، والتوزيع ..

وهذه فرصة لتضافر الخبرات التي أتاح لها هذا الاسبوع أن تلتقي في اطار مؤتمرنا الذي يضم دور النشر في الجمهورية العربية المتحدة والبلاد العربية الشقيقة ..

وارجو أن تسفر المناقشات عن توصيات ايجابية بناءة تخدم الكتاب العربى وتحقق له مزيدا من النجاح فى اداء رسالته ..

ولقد انتهى المؤتمر الى توصيات جديرة بالتعليق والدراسة ، وانى لأرجوأن تكون هذه التعليقات موضوع المقال التالى .

دكتور محمد أحمد خلف الله

مما قرأت

يقول المؤرخون انه ماكان ليتم للولايات الشمالية النصر على الولايات الجنوبية فى الحرب الاهلية الامريكية لولا ماكان للرئيس لنكولن من الايمان العميق بحق كل أمريكى فى الحرية .

ويقولون ان الوحدة الايطالية ما كانت لتتحقق لولا ما اثار مازينى فى نفوس مواطنيه من ايمان عميق بضرورة الوحدة .

ويقولون ان اليونان ماكانوا ليتخلصوا من الاحتلال العثمانى لولا ماأحيوه من لغتهم وتراثهم وما ولد ذلك فيهم من التنبه لماض مجيد حافل .

ويقولون ان الثورة الفرنسية ماكانت لتنجح لولا مانادت به من حرية واخاء ومساواة

ويقولون ان البلشفية ماكانت لتقلب روسيا لولا ما أيقظته فى نفوس الروس من حب للتخلص من الاستعباد الداخلى ، والتطلع الى مستقبل افضل .

ويقول المؤرخون : ان بدو الجزيرة ما كانوا ليبهروا العالم بمعجزتهم الخالدة ، لولا ذلك الايمان الجارف الذى استحوذ على عقولهم وقلوبهم .

ان اليقظة الروحية المترتبة على الايمان هى التى تنبه الانسان الى مايمكن ان يبدعه وان يخلقه اذا هو تحرر من القيود التى كانت تحول بينه وبين ذلك الخلق والابداع . ان اليقظة الروحية الواعية هى التى يتعين فيها ما يجب خلقه أو ابداعه .

وهكذا نجد أن اليقظة الحقيقية تستلزم أن يكون لوجودها دافع قوى يكسبها صفة الاستمرار ، وأن تكون قائمة على مبادىء قوية عميقة تستأثر بايمان الافراد .

***

لقد اخذنا نفكر . وبدء التفكير هو بدء التحرر والبحث عن الحقيقة ولهذا السبب بالذات استيقظت فى النفوس الدعوة الى الحرية .. فلعمرى كيف نصل الى الحقيقة دون بحث ؟

وكيف نبحث دون حرية ؟ وكيف تحدد غاية اليقظة وسبلها ؟ وكيف تجعل يقظة واعية دون بحث ودون حرية .. دون أن تتجاوب الآراء ويتناقش الناس ؟

ان حرية الرأى محفوفة بالمخاطر ؛ ولكن هل نريد الوردة دون شوكها ؟

انى اربا بالفكر ان يقيده الخوف من نفسه ، وأربا بمن يريد بناء مجتمع صالح أن يهدم الاساس الذى لايقوم ذلك المجتمع الا عليه .

ان المجتمع الفاسد هو الذى يقيد الحرية لأنها تعمل على هدمه ، واما المجتمع الصالح فانها تزيده قوة على قوة . وهى للمجتمع المنتقل من دور الى دور الوسيلة التى تعين له السبيل والغاية وتكشف له عن العقبات والمخاطر .

ومن يفضل أن يسير فى طريق يجهل معالمه ويجهل نهايته الا مغامر أو مقامر ؟ .

دكتور محمد أحمد خلف الله

المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

- ٣ -

قيادة القرآن الى فهم أعماق الكون – مواجهة حاضرة لمشكلات كل عصر – نجاح فذ في ايجاد العقل المتكامل – العصور المؤمنة – المادية الالحادية تجهل نظرية الاسلام – زوال عقدة النقص بعد اكتشاف انفسنا .

***

هل وراء ابعاد (المادية الاسلامية) التى يحددها القرآن ويرسمها ، مستقر آخر للعقل البشرى يستطيع أن يذهب اليه ويرتكز عليه ؟

وهل وراء ما أخذنا القرآن اليه من أعماق الكون ، عمق آخر يمكن أن نتعمق اليه وتستقر فيه ؟

وهل وراء ما أخذ به القرآن الفكر من مذاهب النظر فى الكون طريق آخر يمكن منه استيعاب مشاهد الطبيعة وادراك ظواهرها وبواطنها ؟

انه ليس هناك مذهب من مذاهب الفكر الخالص الصحيح يستطيع أن يأخذنا الى غير ما أخذنا اليه القرآن فى الطبيعة وما وراء الطبيعة ..

انه أحال اثبات قضايا ما وراء الطبيعة – الالهية وكمالاتها والملأ الأعلى – الى قوة الحكم العقلى ولم يخضعها للحس وما يستلزمه من نقص وقصور وضيق .

وانه أحال كل قضايا الطبيعة ودراسة ظواهرها الى قوة البداهة والحس ، فلم يشرد من الطبيعة ولم ينكرها ولم يسلط عليها مقاييس التجريد ، ولم يختبر وجودها بغير الحواس .

وانه اعترف بما وراء الطبيعة اعترافه بالطبيعة ، وجعل المنطق الذى استفاده الانسان من تجاربه فى الطبيعة هو ابجدية المنطق الذى يدرك به ما وراءها ، وجعل الانسان يدرك وجود الله الخالق وكماله ، من صفات الابداع والاتقان التى وجدها فى الطبيعة .

وليس يستطيع العقل أكثر من هذا فى محاولة ادراك الوجود والحكم على ظواهره وبواطنه .. ولن يفرض بينه وبين ما وراء الطبيعة هوة لا تعبر ، فيعطل نفسه عن ادراك صورة الوجود المطلق والكمال المطلق والدوام المطلق الذى لا يخضع لقانون الزوال .

وما دام منطق القرآن مستمدا هكذا من الوجود كله ، منسجما مع الطبيعة وما وراءها ، ولم نجد فيه شذوذا أو شرودا أو شطحا عما تعودناه من ادراك فى حياتنا اليومية بالحس والعقل ، فمنطقنا اذا هو منطق الكون كله ظاهره وباطنه ، وليس هناك بيننا وبين الله الخالق هوة لا نستطيع عبورها ولن نكلف أنفسنا عناء التفكير فى منطق آخر يقعد بنا عن التعرف والتقرب والتعبد لله الخالق بناء على الزعم بوجود تلك الهوة .

ان منطق القرآن هذا منطق فاصل واضح فى وضع المؤمنين بما وراء المادة ووضع الواقفين عند حدودها ، وهو منطق يكشف النقص المعيب فى الفلسفات المادية الالحادية الماضية والمعاصرة التى تزعم أنها وضعت العقل البشرى على مستقر ثابت ليس وراءه مستقر آخر .

ومن عجائب أمر القرآن أن يجد المفكرون فى كل عصر ما يواجهون به مستحدثات الآراء التى تحاول حرمان العقل من مصادر اليقين والطمأنينة وموارد الحياة الفكرية الرشيدة فى رحاب الربانية والاعتزاز بالانتساب بها ، والاستمداد من مواهب الله الخالق والانس به وبالحياة معه ومعاملته بمنطق واحد هو المنطق الذى يقوم عليه بناء الوجود ، والايمان بالمصير اليه وامتداد الحياة فيما بعد البعث على مدى الآباد ، والايمان بعنايته واحتفائه بالانسانية وتكريمها ، اذ أنه لم يلقها الى الارض ضائعة تسحقها أو تتخطفها قوى الطبيعة الجبارة ، ولم يتركها سدى بين المجهولات والصغارات ، تأخذها الحماقات والضلالات والشهوات وتصرفها عن طريقها الصحيح الى المستقبل الذى تبدو تباشيره ومعالمه ، بل كان دائما على صلة بها برسالاته التى أوضحت معالم الطبيعة المادية واحتفلت بالعلم بها وأوسعت من نظر الانسانية الى الكون وبشرت بما وراء الطبيعة من عوالم الغيب الذى وراء الحواس ، مما يليق باتساع الكون واتساع قدرة خالقه ومالكه وارتباط الجميع به ..

وقد نجح الاسلام نجاحا منقطع النظير فى ايجاد العقل المتكامل الذى جمع بين الايمان بمادية الطبيعة وقيمها والايمان بما وراء الطبيعة والقيم التى تليق به ! حتى اننا لم نجد من فلاسفة الاسلام القدامى من يجنح به تفكيره الى الخروج عن طريق هذا الايمان المزدوج بالمادة وبما وراءها وبالعناية الآلهية

التى تسيطر على « عالم الخلق » و « عالم الامر » .

فالكندى وابن سينا والفارابى وابن رشد والبيرونى وغيرهم من فلاسفة الاسلام العقليين المشارقة والمغاربة ، كلهم ان لم يكونوا من بناة الاسلام عن طريق العقل فلم يكونوا من محاولى هدمه .. وقد اكتملت فيهم صورة الحلقة المفقودة ذات العقل الانسانى المنشود الذى يؤمن بالدين علما وبالعلم دينا .. وتلتقى فيه كفايات العقل الثلاث : التأمل والاثبات والاعتقاد ..

وتعليل وجود ذلك النوع من العقل المتكامل ، أن فلاسفة المسلمين كانت فى اذهانهم الصورة الكاملة للكون بماديته وما وراءها ، وقد وضعها القرآن فى اذهانهم بأسلوبه العلمى الاستقرائى أو الاستنباطى ، وجعلهم على فطرتهم التى تستجيب أول ما تستجيب للجانب المادى فى الكون وأعاجيبه وقيمه ، ثم تنتقل من هذا الجانب الى الاستدلال به على وجود الخالق المنشىء وعلى علمه وقدرته وسائر صفاته التى تستنبط من الطبيعة ..

وقد أباح القرآن للمسلمين العمل فى الطبيعة والتتلمذ على مشاهدها وعلومها وقوانينها ؛ بل أوجب عليهم ذلك ؛ ولم يغلق اى باب من أبواب الطبيعة دون جهودهم العلمية والعملية . بل جعل خصوصية الانسان التى يتفرد بها عن غيره من المخلوقات هى النبش والبحث فى كل شىء واستخراج أسراره وتسميته وتسجيله فى عالم البيان والتعبير ..

فكيف يجد هؤلاء الفلاسفة الاسلاميون فى عقولهم وانفسهم حرجا من منطق القرآن يجعلهم يخرجون عليه أو يشردون منه ؟ .

انهم أيقنوا ان القرآن لو لم يكن دينا موحى به من وراء الغيب لكان المذهب العقلى الوحيد الذى يفر اليه الفكر ويأنس به ويحتمى فيه من وطأة الفراغ والشك والانكار والحرج والضيق ...

وقد حولوا الفلسفة والمنطق اليونانيين الى أدوات استخدموها فى بناء الفكر الاسلامى ، فنشأ علم الكلام والجدل عن مقولات الاسلام ..

ولذلك مضت أكثر عصور المسلمين وأعظمها حضارة ومدنية وثقافة ، وهى مؤمنه تظلها الربانية وتخدمها المادية ، ولا يجد أهلها ما يجده أهل عصرنا هذا من « مشكلات الفكر والاعتقاد » « ومشكلات العيش » ، تلك المشكلات التى تبلغ ذروتها من التعقيد والاظلام العنيف فى « المادية الالحادية » الشرقية والغربية ، تلك المادية التى لا تؤمن « بالثنائية » فى الطبيعة بين عالم المادة وعالم ما وراءها ، ولا تؤمن بقيم سوى قوانين القوى المادية العمياء ، ولا يرتبط ضميرها وعقلها بوجود أى كائن منفصل عن الطبيعة ، يأسا وافلاسا من أصحاب تلك النظرية من التوفيق بين العقل العلمى المادى وبين ما درسته من أديان لم يكن من بينها الاسلام الذى يعتمد فى اثبات وجود (الكائن الاكبر الخالق) على أسلوب العقل العلمى ذاته الذى ادرك القوانين والأسرار التى تحكم البناء المادى للكون ولا تدرك بالحواس ، وانما تدرك بالحكم العقلى ، كالرياضيات والقضايا التجريدية والعلاقات والنسب بين الاشياء التى من شأنها الا تتجسد أو تخضع للادراك الحسى .

ولو أن النظرية الاسلامية فى الطبيعة وما وراءها ، ولو ان طريقتها العلمية المبنية على الحكم العقلى الجازم فى التوصل الى اثبات وجود خالق الطبيعة والاعتقاد به استنتاجا من صنعه فى الطبيعة ، لو أن هذا كان معلوما لواضعى المادية الالحادية ؛ لغيروا من نظرتهم للدين ، ولوجدوا أن لاضرورة لتخريب قيم حياة التدين وشجبها والازراء بها ، باعتبارها فى رأيهم مهدرة للعقل ـ العلمى ومناقضة له ومخدرة للشعوب عن الكفاح لتحقيق « مطالب عيشها » فى الدنيا وحل مشكلاته ، وصارفة لجهد الجماعات عن السعى لنيل حقوقها فى سعادة الارض قبل سعيها لنيل سعادة السماء ..

ولكن مع الاسف الشديد ، لا تزال النظرية الاسلامية مجهولة لدى المدارس الفكرية المعاصرة بل لدى أكثر المشتغلين بالفلسفة من المسلمين ، امتدادا لموجة الاهمال الشامل لكل ما هو اسلامى فى عصور الاحتلال والانحطاط والتبعية السياسية والعقلية للمحتلين والافتتان بهم .

والمأمول ان ينحسر مد هذه الموجة ؛ بعد ان زال كابوس الاحتلال او كاد .. وبعد أن اكتشفنا انفسنا ووجودنا وزالت عنا عقدة الشعور الكاذب بالنقص والتخلف ، ودخلنا النوادى العالمية فى السياسة والعلم والفلسفة ، وأدركنا دورنا التقليدى فى تحطيم حدة موجات التطرف والانحراف ومزجها جميعا لانتاج المذهب الوسط الذى تمتاز به أمة الوسط .

عبد المنعم خلاف

الحس المأسوى في شعر الشرنوبي

للدكتور عز الدين اسماعيل

قد يكون من الصعب أن نضع منذ البداية تعريفا لما نسميه بالحس المأساوى ، اذ يتعين علينا عندئذ أن نجمع طبيعة هذا النوع من الحس وكنهه ومجال نشاطه في عبارة موجزة كما هو شأن التعريف ، وهو أمر قد لا يتيسر الا بعد معايشة قدر كاف من التجارب التي يتمثل فيها هذا الحس . اننا من غير شك ندرك هذا الحس المأساوى ادراكا مبهما ، حتى اذا ماعايناه قلنا على الفور : هذا هو ! وهذا ماتحقق لى من قراءتى المنعمة لشعر الشرنوبي .

غير أن هذه الصعوبة لا تمنعنا منذ البداية ايضا من أن نتلمس الخطوط العامة التى سنتحرك داخلها ونحن نعايش تجارب الشرنوبي التى عبر عنها فى قصائد تنم عن ذلك الحس . ومنذ اللحظة الأولى تستوقفنا من غير شك كلمة « المأساوى » فى وصف ذلك الحس ، فندرك بطبيعة الحال أنها مشتقة من المأساة . ولما كانت « المأساة » اسما لنوع أدبى معروف : هو ذلك النوع يكشف لنا عن « مأساوية » الحياة ، أى عما يقع أو يتمثل فى الحياة على نحو يثير الأسى والحزن ـ عندئذ قد نفهم فى بساطة أن الحس المأساوى هو الحس الأسيان أو الحزين . لكن هذا التبسيط فى الواقع مخل ، لأن الأسى والحزن غير « المأساوية » . وليس الفرق بينهما مجرد فرق فى الدرجة او الكم ، وانما هو فرق كذلك فى النوع . فالمأساوية تعنى الأسى أو الحزن الوجودى أى الذى يتمثل فى الوجود كله ، ويعد جزءا أو عنصرا أساسيا فى صميم تكوين هذا الوجود ، وليس حزنا أخلاقيا ، أى ليس تقديرا شخصيا لما يصيب الأفراد من أحداث مؤسية ، فقد تستحق هذه الأحداث من البعض الأسى وتستوجب الحزن ، فى حين قد لا يأسى لها الآخرون ولا يحزنون . أما الحزن الوجودى فشىء يتجاوز حدود الأشخاص ليستقر فى كيان الوجود كله . وهذا التفريق يضع أيدينا على الخاصية الكبرى المميزة لما نسميه الحس المأساوى . فالحزن لفقد عزيز هو حس أسيان أو حزين ، ولكنه غير مأساوى ، لأن الآخرين قد يشاركون فى هذا الحزن أو لا يشاركون ، لأنه حزن صادر اولا وقبل كل شىء عن واقعة شخصية . ثم ان هذا النوع من الحزن هو فى أغلب الأحيان وقتى أى لا دوام له ، أى أنه ينتهى بانتهاء الواقعة المثيرة ومرور الزمن عليها . وهو كذلك لا يتعلق بالوجود أو بالكون كله ، وانما يتعلق بواقعة انسانية جزئية . واكثر من هذا هو حزن ذاتى ولا يعبر عن أى حقيقة موضوعية .

وكل هذه الصفات نجد نقيضها تماما عندما نتحدث عن الحزن الوجودى ؛ فهو حزن غير شخصى ، وله صفة الدوام ، وهو يتعلق بالوجود أو بالكون كله ، وله بعد هذا وجوده الموضوعى . وكل هذه الفروق تبين لنا فى وضوح كيف أن الحزن غير « المأساوية » ، وأن احساسنا بالحزن غير احساسنا بالمأساة ، وأن الحس المأساوى حس يتجاوز الحزن ويعلو عليه ، أى يتجاوز الكيان الشخصى الى الكيان الكلى أو العام . وهو لهذا لابد أن يكون حسا متميزا وغير متاح لجميع الناس . فكل الناس قادرون على أن يحزنوا حين تلم بهم المصائب ، ولكن قليلا منهم من هم على استعداد لادراك مأساوية الحياة ، واقل من هؤلاء من هم قادرون على التعبير عن هذه المأساوية .

وقد قلت اننى وجدت فى شعر الشرنوبي ما ينم عن ذلك الحس المأساوى فى كثير من قصائده ، ولعلنى لا أغالى اذا قلت فى كل قصائده . فالمسالة فيما يبدو ليست مجرد فلتات تتاح للشاعر ، وانما هى موقف كلى شامل يقفه الشاعر من الحياة ، من وجوده المحدود فى اطار الوجود الأكبر .

وأول معلم من معالم هذا الحس المأساوى يصادفنا فى ديوان الشرنوبي هو ادراك الشاعر لحقيقة وجودية كبرى أدركها كذلك وعبر عنها الشاعر الانجليزى الكبير ت . س . اليوت ، وهى وحدة الزمن ، حين قال هذا الشاعر بيته المشهور « فى بدايتى نهايتى ، وفى نهايتى بدايتى » ، وحين قرر كذلك أن الماضى والمستقبل متضمنان فى الحاضر . والتفسير المشهور لهذا الاحساس بوحدة الزمن ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، هو أن التغير الذى يحدثه الزمن فى الأشياء لا تمتد آثاره الى المشاعر والعواطف ، الى المخاوف والمطامح الانسانية ؛ فهذه باقية هى بعينها فى الانسان مهما غير الزمن وجه الأشياء .

ولست اغالى اذا قلت ان الشرنوبي قد اهتدى

بحسه المأساوى لا الى ادراك هذه الحقيقة فحسب ، أعنى وحدة الزمن ووحدة الكون ، بل الى تفسير وجودى لها يتميز بالأصالة وبالعمق . فقد فسر هذه الحقيقة من خلال ما يمكن أن نسميه « وحدة الألم الانسانى » . وهو بهذا ينقل الألم من صورة المعاناة الشخصية أو الجزئية الى مستوى المعاناة الشاملة للحياة بأسرها . فليست المسألة مسألة ألم نحس به عندما يصيبنا ما يؤذى ويؤلم ، وانما هو ألم كلى شامل وجوهرى ومتغلغل فى الوجود كله ، وسابق على الزمن وأعلى منه .

يقول الشرنوبى فى قصيدة « الأصداف » :

فوق هذى الربى أقمت وحيدا
ومعى معزلى صموتا جهيدا
أتملى الحياة بدءا عجيبا
وأحس الختام بدءا جديدا
حلقات من الزمان تغاير
ن وان كان صوغهن فريدا
القرون التى مضت والتى تأ
تى سواء اذا نسينا القيودا
وبنوا الأرض مثل ذراتها الغبـ
ـراء تأبى ألوانها التجديدا
وحدتهم آلامهم وأمانيـ
ـهم وان لم يحققوا التوحيدا

فى هذه الأبيات تقرير لحقيقة الزمن ، لحقيقته الشعرية او النفسية ، وهى أنه ديمومة وتدفق وليس مراحل وعصورا وأياما وساعات ؛ فهذه الأشياء ليست الا قيودا نحاول بها أن نقيد الزمن وأن نجعل له قياسا . ونحن بذلك نحاول أن نقيد الزمن ونقيسه بما ليس من طبيعته . اننا نقسر الزمن على قبول أقيستنا الموضوعية هذه لكى نصرف أمور معاشنا اليومية ، أما الزمن فى ذاته فديمومة لا تقبل التقسيم . وعلى هذا تكون « القرون التى مضت والقرون التى ستأتى » سواء ، فليس بين هذه وتلك فروق . ويترتب على هذا كذلك أن يكون الانسان الذى عاش « فى الماضى » كالانسان الذى يعيش « فى الحاضر » والانسان الذى سيأتى « فى المستقبل » . فالانسان فى جوهره هو الانسان ، كما أن الزمان فى جوهره هو الزمان لا الساعة ولا العام . فكل بنى الانسان اذن قد « وجدوا » فى كل الزمان وان « عاشوا » ــ وفقا لأقيستنا الموضوعية ــ فترة من الزمان . ولأمر ما كان الانســان مجموعة من الآلام والآمال فلو لخصت الحياة نفسها لما تعدت أن تكون بنية موحدة من الألم والأمل . هذه هى خلاصة الحياة ، وهى نفسها خلاصة الانسان . انها ــ بعبارة أخرى جوهر الحياة وجوهر الانسان ، أما ماعدا ذلك فعرض بالنسبة للحياة وللانسان على السواء . ولو أن كل انسان تخلص من هذا العرض أو هو تجاوزه لأدرك أنه هو وكل انسان ، فى كل زمان وكل مكان ،انسان واحد :

فأنا أنت حين تسمو واسمو
فوجودى يتم فيك الوجودا

ومن الواضح أن الألم والأمل هنا ليسا شخصيين، وليسا كذلك عرضيين ، وانما هما الألم والأمل الانسانيان ، أى السلب والايجاب المتكاملان والمتداخلان ، اللذان يصنعان معا الحياة ، أو جوهر الحياة .

هذه الحقيقة ــ وهى من غير شك حقيقة مرة ــ يدركها الشرنوبى ويعبر عنها فى وضوح على نحو يجعلنا ندرك كيف أنه استطاع بحسه أن يتجاوز العرض الى الجوهر ، والمحدود الى المطلق ، فيعاين عندئذ مأساوية الحياة ، ويدرك ما فيها من مرارة وجودية .

ونحن نتصور ــ فى حياتنا وتفكيرنا السطحى ــ أن أكبر تهديد للحياة هو الموت ، وأن الموت نقيض للحياة ونهاية لها. نحن نتصور الحياة ايجابا والموت سلبا ، والمنطق يقضى بأن يكون أحدهما نقيضا للآخر . ولكن هذا التصور مازال يعتمد على تصورنا الموضوعى للزمن ، أى أنه مسافات لها بداية ونهاية . لكننا لو رجعنا الى التصور الشعرى أو النفسى للزمن من حيث هو ديمومة وتدفق أدركنا أن الحياة والموت ليسا نقيضين ، وأن الموت ليس نهاية للحياة ؛ فنحن فى الواقع « نعيش » الموت كل يوم وكل لحظة ، وفى وجودنا تجتمع الحياة والموت معا ، كما يجتمع الأمل والألم . فبغير الموت لا تكون الحياة ، وبغير الألم لا يكون الامل . انها هنا وهناك وحدة وجودية لازبة ، قد تكون مرة حقا ، ولكن لا مناص منها .

والشرنوبى الذى أدرك وحدة الزمن من خلال وحدة الألم والأمل الانسانيين قد استطاع بحسه المأساوى أن يدرك وحدة الحياة والموت . وهو ربما غص بوقوع حسه على هذه الحقيقة ، ولكنه على كل

حال أدركها ، فأدرك فى لحظة واحدة وحدة حياته وموته ٠

أنا أهفو الى الحيـــاة وروحى
تشرب الموت فى كئوس الحيـــاة

أنا أرنو الى الغـــروب بعينَ
قبســـت نورهـــا من الظلمات

أنا اســـتقبل الربيـــع بقلب
هـــامد الحس ذاهل الخفقـــات

وادراك الشاعر لهذه الوحدة التى تجمع الحياة والموت ، وتشى بالموت كيف يتحقق فى الحيـــاة ويتسرب من خلالها وينتهى فى عمر الانسان المحدود معها ليبدأ مرة أخرى مع الوليد الجديد يشارك فى حياته ـ هذا الادراك ينفذ بنا الى صميم الوجود ويطلعنا على حقيقته الجوهرية الأبدية ، كما يكشف لنا عن تعاسة كبرى فى صميم الحياة تتجاوز الأحداث والوقائع اليومية لتصنع النسيج الوجودى للحياة بأسرها ٠

ونحن ننظر كذلك بنفس الطريقة ونفس المنطق الى الخير والشر ؛ فالأغلب أننا ننظر اليهما بوصفهما مفهومين متناقضين ٠ وطبيعى أن يكون الشر نقيضا للخير ، ولكن هذا لا يصح الا فى القياس «الأخلاقى» ، حين نحتاج الى تصنيف الأعمال الانسانية والحكم عليها ، وعندئذ نصف عملا ما بأنه خير وآخر بأنه شرير ، ونجعل هذا محبوبا والآخر منبوذا ٠ ونحن فى هذا انما نتحدث عن الخير والشر الشخصيين ، أى اللذين يقف تأثيرهما عند حدود الأشخاص أو الافراد ، ولكننا اذا ما تجاوزنا ما هو شخصى الى ما هو كلى وعـــام ، أى اذا انتقلنـــا من مســـتوى « الأخلاقى » الى مستوى « الوجودى » ، تبين لنا أن الخير والشر وجودان متلازمان ومتكاملان ومتداخلان ، وأنهما معا ، وعلى هذه الصورة ، يصنعان الحياة ٠

فى قصيدة « ألوهية » يحدثنا الشرنوبى كيف أنه خال نفسه الها عظيما نافذ الحكم ، قد راح يسوى مابين النـــاس من نزاع فتبين له أن الشر هو أم البلايا ، فاتفق مع نفسه على محو الشر من الوجود واشاعة الخير وحده بين الأنام ، وكيف أن الكون عند ذاك قد راح يغنى لحن الرضا والسلام :

واذا بى أحس بعـــد عهـــود
أن ذاتى موصـــــولة بالأنـــام

أنا خـــير محض ومن هم عبيدى
ليس للشر بينهـــم من مقـــام

لم تعد بيننا فروق ســوى القد
رة سر الايجـــاد والاعـــدام

فتســـاءلت : كيف أنحاز منهم
وورائى خيـــارهم وأمـــامى

وكأن الشرور ضاق بها الصمـــ
ـــت فهبت من ســـالف الأيام

ثم قالت : يارب ! لا خير فى الخيـ
ـــر اذا لم تحطم قـــواه سهامى

وامتزاجـــى به ، وكـــونى فيه
ـ ولك العلم ـ أصـــل كل نظام

وكأنى سمعت فى صوتها المخـــ
ـــنوق أصـــداء حكمتى وكلامى

قلت : فلتهـــبط الشرور الى الأر
ض ٠٠ ألا وليحى السنا فى الظلام

وليـــــدم ذلـــك الصراع على الأر
ض الى أن يحين بدء الختـــام

هذا المزيج المتناقض من الخير والشر هو اذن صانع الحيـــاة ، وهو أصل نظامها ، وهو ضرورة لازمة لبقائها واستمرارها ٠ ان معنى الحياة كامن فى هذا الصراع بين الخـــير والشر ، وهو صراع لا ينتهى بانتصـــار أحدهما ، وانما هو صراع متجدد على الدوام ، كالصراع بين الأمل والألم ، وبين الحيـــاة والموت ، وهو الذى يبرز الحياة ويكسبها معنى ، وهو نفسه يبرز بالحياة ويكتسب دلالة ٠ أما أين تقع المأساة هنا ففى كون هذا ضرورة لا معدل عنها لقيام الحياة ؛ أن يتحتم فيها الألم والأمل ، والحياة والموت ، والخير والشر ، والنـــور والظلام ، وكل ما نعرف من قبيل التناقض ٠ والحس الذى يتغلغل فى الوجود حتى يصل فى الأعمـــاق البعيدة الى ادراك أن سر الحياة وأساس نظامها هو هذا التناقض ، والذى يستطيع أن يرجع بكل ظاهرة حيـــوية الى هذا الأصل العـــام ، هو مايمكن أن نسميه الحس المأساوى ٠

ولكن أيعنى هذا أن الحياة بالنسبة للانسان ضربة لازب ، وأنه لابد أن يقبلها كماهى بكل متناقضاتها؟ ما دور الانسان فى هذا الخضم ؟ المؤكد أن الحياة

بدونه لا تستقيم . صحيح أن مجيئه اليها لم يكن بارادته ، وكذلك عودته منها ، كما يقول الشرنوبي :

وما بارادتنـــا أن نجيء
ولا بمشـــيئتنا أن نعـــود

ولكنه مادام قد جـاء فلابد أن يصـنع لوجوده معنى ، لابد أن يبرر لنفسه هذا الوجود . وهو لذلك ما يكاد يعي حتى يسعى الى تحقيق ذاته أو تأكيدها . وهو في سبيل هذا التحقيق أو التأكيد يلجأ الى السعي ، الى البحث والمغامرة . وأقصى ما يطمح اليه من هذا البحث هو الوصول الى التعرف على حقيقة وجوده ، فهذه الحقيقة هي بالنسبة للانسان الطلسم الأكبر . ولقد شقى منذ ان جد في سبيل حل هذا الطلسم ، ولعله قارب هذه الحقيقة مرات ، ولكنه لم يصل قط اليها ، ولعله لن يصل اليها . ومع ذلك فلم يكف الانسان عن هذه المغامرة ، وأحسب أنه لن يكف .

وهنا تبرز لنا مفارقة طريفة . فالانسان يدرك أنه لن يصل الى ذلك المطمح البعيد ، ولكنه مع ذلك يعيش ويجاهد ويغامر ، حتى صار الجهاد والمغامرة في ذاتهما بديلا من ذلك المطمح ، أى صار السعي من أجل الهدف هو الهدف نفسه ، أما الهدف الحقيقي فلا سبيل اليه .

ويبدو أن الحياة بحكم تركيبها المتناقض لا يمكن أن تسمح للانســـان بمعاينة الحقيقة المجردة او المطلقة ؛ فالشيء لا يدرك الا بمعدنه ، والحقيقة المطلقة لا يمكن أن تكون متناقضة . ومن ثم يصبح سعى الانسان اليها عبثا ، لانه هو نفسه تركيبة من المتناقضات . وهنا تتركز ازمة الانسان أو مأساته ؛ فهو يريد أن يعرف لوجوده معنى ولحياته غاية ، ولكنه لا بد أن ينسلخ اولا من هذا الوجود وهذه الحياة حتى يحصل هذه المعرفة ، وهو مالا سبيل الى تحقيقه . واذن فهناك ما يدعوه الى قبول الحياة كما هى ، فى مقابل مايدعوه الى معرفة سرها .

وقد عبر الشرنوبى عن هذا الموقف المأساوى حين قال :

خنـق الطـين والظـلام حجانا
فعمينـــا وما هـــدانا هـــوانا

نحن نرجو من الحقيقة لو تكشـ
ـف محجوبها وتبدو عيـــانا

حين نرجو من الذى قـــد برانا
أن نراه فى قدســـــه اذ يرانا

ويحنا كالفراش حمقا وما أوهـــ
ـــى حماقاتنا واشـــقى خطانا

الغـــرور القـــديم يطمـع فينا
يتحـــدى اعجـــازه الامكانا

قتل السابقين فى الدهر يأســـا
وطواهم من جهــــله ما طوانا

ليس شيئا أن تشتهى كل شىء
ضـاع من يطلب المحـــال وهانا

فدع السر خافيـــا مثلمـــا كا
ن ولا تســـال الورى كيف كانا

وأمام هـذا الاحساس الحاد بالضياع فى خضم الحياة المتلاطم دون الامل فى الوصول الى السر الاكبر كان طبيعيا أن يحس الشرنوبى بالعبث ، وبالدور التمثيلي الذى يؤديه فى هذه المهزلة الباكية المبكية ، وبصرخاته التى أحرق فيها دمه وروحه تذهب أدراج الرياح ، وأن تهفو روحه الى الخلاص ، الى الموت ؛ بوصفه أول مراحل الوصول الى السر الاكبر ، ومعانقة الحقيقة الكلية :

أنا مـــاض فلا تخفوا الى قـبرى
ولا تزعجـــوا ســـكون رفاتى
حطموا مزهـــرى وذروا بقـــاياه
وصـــلوا فى مـــأتم الذكريات
واسحقوا هيكلى وألقـــوا الى الريح
حطـــامى وبعثروا أغنيـــاتى
واذكروا ان ذكرتمونى ضـــياعى
وشرودى وحـــيرتى وشـــقائى
ودعونى أنم فقد آن للعـــالم أن
يســـتريح من صرخـــاتى

هذه وقفات مع شعر الشرنوبى تدلنا فى وضوح كيف عبر هذا الشاعر عن موقف موحد من الحياة ، والى أى مدى بلغت مغامرته الشعرية ، كما تلقى لنا أضواء على ما كان ـ رحمه الله ـ يتمتع به من حس مأســـاوى مرهف وعميق ، يعلو به على كثير من الشعراء الذين لا يتجاوزون فى تجاربهم سطوح الحياة وجزئياتها ، ويمكن له بين شعراء الانسانية الخالدين .

د . عز الدين اسماعيل

الانسان والقيم الروحية

الحس وحده ليس يكفي

للأستاذ فتحي عثمان

« ان المعطى الحسي يمثل لنا بمثابة موكب مشوش، ولذلك فنحن نتوخى أولا أن نتبين عناصر هذا المعطى؛ وتلك هي عملية التحليل . أما التأليف فهو العملية العكسية ، فلكي تكون العناصر مفسرة يلزم ان نتمكن بها من اعادة بناء المعطى على ما كان عليه .. ولكنا ما نكاد نخرج من مجال المادة الخام حتى يصطدم التحليل والتأليف بعقبات كثيرة ، ففي البيولوجيا لا يمكن أن تفهم العناصر الا في كنف العمل الوظيفي لها ككل ، فهذا التضامن بينها واعتماد بعضها على البعض الآخر في كل متسق يجعل التحليل تحليلا ذهنيا . فالتحليل الواقعي لا يتم ، أما تأليف المادة الحية فليس من سبيل الى تحقيقه على الاطلاق . وفي علم النفس لا يمكن عزل حالة الا بوهم قد يفضي الى أخطاء جسيمة ، فلكل مغزى، ولا يفسر هذا المغزى الا في ضوء الصورة الجامعة . وكذلك الشأن في علم الاجتماع حيث لا يفسر الفرد الا في كنف المجتمع . ولا ينبغي الاعتقاد بأن العلم يصل — حتى في مجال المادة — الى اعادة بناء دقيقة للعالم من عناصر بسيطة . فالطبيعة الحديثة لم تعد ترى الذرة غير متجزئة ، بل هي مركبة من علاقات . فليس هنالك ظواهر بسيطة غاية البساطة كما ارتأى ديكارت ، وانما الظاهرة هي نسيج وحسن علاقات ، والطبيعة نسيج سداه علاقات ولحمته صفات ... ان العالم لا يروم المعرفة فحسب ، بل يبغي الفهم أيضا . وليس في وسعه أن يتقبل الوقائع كمعطيات تجريبية قائمة ، وانما يتطلع الى سبر غورها وادراك كنهها ، وبتفسيرها يخضعها للفكر . فهو يجمع بين الموضوعية : أى تسجيل خصائص الظواهر كما هي عليه ، وبين المعقولية : أى صياغة هذه الخصائص صياغة عقلية محكمة . وهذان المقصدان هما اللذان يبعثان الحياة في الروح العلمي ... » .

ومن هنا شغل الفكر المعاصر بالربط بين التطور البيولوجي وتطور الانسان بحضاراته وثقافاته وقيمه الخلقية والروحية . ترى هذا واضحا في كتابات جوليان هكسلى : وهو صاحب كتاب « ديانة بغير وحي » ، كما ترى تيلهاردي ساردان المتوفى سنة ١٩٥٥ يؤلف في « الظاهرة الانسانية » ، « ظهور الانسان » ، « مرأى الماضي » ، « الوسط الالهي » ؛ « الطاقة الانسانية » ؛ « مكان الانسان في الطبيعة»، « مستقبل الانسان » ... وهي محاولات مضنية رائعة لتحقيق وحدة المعرفة : بين الحس والعقل ، بين الجزئي والكلي ، بين الذات والمطلق . ويجمل جوليان هكسلى الخطوط الاساسية في فلسفة تيلهار فيجعل نقطة البدء فيها أن الانسانية كلها وفي شتى مجالاتها بما في ذلك تاريخ الانسان والقيم الانسانية هي « ظاهرة » يمكن وضعها وتحليلها علميا كأى ظاهرة أخرى ، أما النقطة الثانية في هذه الفلسفة فهي الضرورة المطلقة للنظر الى هذه الظاهرة على أنها عملية تطور متصلة . وهو يقدم لكتاب تيلهار « الظاهرة الانسانية » بقوله : « اذا أريد فهم الكتاب على الوجه الصحيح فينبغي أن يقرأ لا على أنه رسالة ميتافيزيقية أو لاهوتية ، وانما على أنه بحث علمي صرف، فهذا المجلد لايتناول الانسان الا من حيث هو ظاهرة ، ولكنه كذلك يتناول الظاهرة الانسانية برمتها » ويختتم جوليان هكسلى مقدمته بقوله : ان البيولوجيين قد يرون أن تيلهار في « الظاهرة الانسانية » لم يتنبه انتباها كافيا لعلم التناسليات وامكانيات وحدود الانتخاب الطبيعي ، وقد يرى رجال اللاهوت في تناوله لمسألتي الخطيئة والألم أنه لم يكن موفقا أو أنه على الأقل لا يطابق العقيدة المسيحية ، في حين قد يرى علماء الاجتماع أنه لم يحسب حسابا وافيا لوقائع التاريخ السياسي والاجتماعي . ولكن تيلهار كان يرى أن ما نحتاج اليه اليوم هو النظرة المكتسبة الواسعة الافق والتناول الشامل ، وفي اعتقادي أنه قد وفق في ذلك توفيقا باهرا ويقول هكسلى في موضع آخر عن تيلهار : « ان تأثيره في الفكر العالمي جدير أن يكون عظيما ، فهو بمعرفته العلمية الواسعة وشعوره الديني العميق واحساسه الدقيق بالقيم قد قسر رجال اللاهوت على اعادة النظر في تصوراتهم في ضوء التطور وآفاقه الجديدة ، كما قد قسر رجال العلم على ادراك ما تتضمنه معارفهم العلمية من مغزى روحي ... »

وهكذا يتعانق العلم التجريبي مع الفكر النظري، فلا مجال اليوم لعداء أو جفاء ، ووحدة الانسان تتناسق مع وحدة المعرفة • وفى ميدان علم النفس يكون اللقاء بين مجالات المعرفة أروع مايكون اللقاء : « فعندما نقرر أن المعرفة الشعورية معرفة مباشرة وحدسية لا نقرر بالضرورة انها يقينية لأن العارف يجهل هذا الجانب من دوافعه اللاشعورية التى توجه ادراكه وتفسيره لما يدرك وكذلك عندما نقول ان الحقائق الخاصة باللاشعورية مستنتجة بالاستدلال التجريبى لا نعنى أنها يقينية بالضرورة لأن عملية الاستدلال حتى عندما تعتمد على معطيات تجريبية لا تعدو أن تكون فى نهاية الامر عملية شعورية فتتعرض للاخطاء التى تقع فيها المعرفة الشعورية•• ويكفى أن نقرر ان المعرفة العلمية التى نبتغى الوصول اليها فى ميدان الحياة النفسية تظل تقريبية على الرغم من الاحتياطات التى تحتم اتخاذها مناهج البحث العلمى الدقيق • وان العلم يتقدم بازالة الاخطاء أكثر منه باضافة حقائق جديدة الى مجموعة من حقائق سابقة ••• » •

وموقف الانسان من العالم هو محور التجارب والاحصاءات والتأملات ، ففى أعماق الانسان رغبة ملحة لان تتلاءم احتياجاته اليومية فى ايقاع منظم منسجم مع ايقاع الكون ، والوجود الانسانى هو شبكة من المفاهيم تلقيها على الوجود الخام ونراه من خلالها « وقد بلغ الصراع بين العقل والوجود أشده فى عصرنا الحاضر ، ويبدو أن العقل قد اقتنع أخيرا أن شباكه أضيق من أن تقتنص الوجود ، وفى هذه القناعة يكمن اليأس وتكمن المأساة ، خصوصا عند الاجيال الجديدة التى تحاول أن تبنى عالمها الخاص بها بعد أن انهارت العوالم القديمة • ومن اجل ان تبنى عالما عليها أن تجد المطلق ••• » « ان التقدم العلمى المذهل قد اثبت أن المشكلة الميتافيزيقية المتعلقة بسر الوجود تخرج بطبيعتها من منطقة نفوذه، كما أن الحربين العالميتين قد اسهمتا فى تكثيف بشاعة المصير الانسانى ، ومن ثم كان أمرا طبيعيا أن يتعمق فى وجدان الانسان الحديث الاحساس باليأس ، والهزيمة كرد فعل لمعنى العبث الرابض فى أعماق الوجود • هذا العبث الذى يضع البشرية بين قوسين: هما الموت ، واللامعقول » !

وهكذا تمزق الانسان فى التية والصراع •••

وانتصر على الكون فى عالم المحسوس • فكشف بالتجريب كثيرا من أسراره وحققت له الانتصارات نتائج مادية كبرى ، وكان من المتوقع أن تحقق هذه الانتصارات راحة الانسان النفسية ••• أفليس قد عرف الطريق وأثبت وجوده ، وعرف مكانه تحت الشمس • بل وبجوار الشمس فى أعماق الفضاء ؟

ولكن الانسان كما قيل عنه ••• هو الموجود المشكل :

لقد أجملت أبعاد الانسان فلسفيا ، فقيل ان له داخلا ، وخارجا ، وفوقا • وان كانت كلمة أبعاد تحمل من معانى المكانية ما لا يلائم الموجود البشرى فى مرونته وانطلاقه• أما داخل الانسان: فهو ذاتيته وحياته الباطنية وعالمه الاصغر ، ولكل فرد وجوده الخاص • والحياة الشخصية للانسان انقباض وانبساط، تقلص وامتداد ، تركز واشعاع؛ انفصال واتصال ؛ انطواء على الذات وافتراق عن الذات ، ونحن نجد « كانت » مثلا يذكر أن الانسان لا يمكن أن يتعقل ذاته الا فى علاقته بالأشياء ، ويذكر (هوسرل) أن الشعور بطبيعته موجه نحو موضوع، وليس فى وسع الانسان أن يبقى متمركزا حول ذاته بل لا بد له من أن يخرج ليتقبل أحداث الواقع ونتائج أفعاله ويشع فيما حوله على شكل موجات متجددة متلاصقة لا تكف عن الاتساع • وهكذا يأتى الخارج بجانب الداخل ، فقد اتخذت العلاقة بين الانسان والكون منذ اللحظة الاولى طابع الديالكتيك أو الجدل • ثم يأتى المطلق من فوق ليبسط على الانسان ظلال السكينة والامن ،فهذا البعد الرأسى للموجود البشرى يجعل منه موجودا ميتافيزيقيا ينشد المطلق فى التاريخ أو الطبيعة او الدولة أو

اللذة ليشبع ما يحسه من نقص وعدم اكتفاء وهو فى حاجة دائمة الى الآخر الذى يقوم عليه ويستند اليه. وفى هذا الاتجاه الى « فوق »او النزعة العلوية انكار لما ينسب الى الواقعة من قدرة مطلقة وكفاية ذاتية ، وتجاوز لحدود الوسائل التجريبية للمعرفة، واعترف بضرورة اتخاذ خطوة ميتافيزيقية • ان الانسان هوالموجود الذىلاتتكافأ حاجاته «معمقتضيات البيئة ، انه هو الموجود الطبيعى الذى يعلو على الطبيعة ، ولايندمج مع الطبيعة الا لكى يتحللمنها! ان الحياة الحيوانية تبدو فى حالة اكتفاء لأن الحيوان يعيش فى صميم الواقع ويسعى نحو اشباع حاجات عضوية تتناغم مع الطبيعة ، أما بالنسبة للانسان فانه يجد نفسه بازاء مجموعة كبيرة من الممكنات فضلا عن القيم والمثل وبالتالى فانه يتحرك فى ابعاد ميتافيزيقية يجهلها الحيوان ، وعالم البشر هو العالم الذى يوجد فيه الواقع جنبا الى جنب مع الممكن • ان نشاط الحيوان بأسره مقصور على تطبيق برنامج حيوى هو فيه أداة تنفيذ • بينما يستطيع الانسان دائما ان يقاوم دوافعه أو يضعها موضع النظر وهو أقدر الكائنات على مراقبة دوافعه والعمل على كبتها أو اعلائها أو ابدالها « ومن ثم فان الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يستبدل بالنظام الحيوى للحاجات نظاما اخلاقيا للقيم »! والانسان عندنيتشه حيوان غير مكتمل ، اذ يشعر بأن ليس فى وسعه أن يستقر على حال ، أو ان يكتفى بذاته ؛ فوجوده ينكشف له على صورة نقص مستمر يضطره الى العمل على تكملة ذاته والعلو على ذاته !

ومن هنا كان حنين الانسان الجارف الى «المطلق» ••• وكانت سعادته فى التعامل بالأداة المجردة للوصول الى القيم المجردة : الفكر النظرى ، أو التأمل ، أو الحدس !

والى اللقاء مع الانسان فى سعيه الجاهد ورحلته الممتعة لارضاء دوافعه ونزعاته وأشواقه ومعالجة أزمته الكبرى •

فتحى عثمان

تصريح ٢ نوفمبر

بين بلفور والميثاق

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

يثير اليوم الثانى من نوفمبر فى كل عام ذكريات مؤلمة فى نفوس العرب جميعا ، فهو اليوم المشئوم من عام ١٩١٧ الذى اعلن فيه اللورد بلفور الوزير البريطانى وعد بريطانيا باقامة الوطن القومى لليهود فى فلسطين .

يذكر العرب هذا اليوم فيذكرون معه كيف نصبت بريطانيا نفسها موزعا لارض العرب دون سند من قانون أو مراعاة لضمير •

ويذكرون هذا اليوم فيذكرون تلك الفترة من الزمن التى سادتها الفرقة بين الشعوب العربية ، ومانخالها من اطماع بعض امراء العرب ، وغموض المعانى القومية مما « جعل الغرب يحتل البلاد الاسلامية تدريجيا ، ويعتبر الحروب المتوالية التى شهرت على الدولة العثمانية حروبا دينية ، وينفذ من هذا الى اصطناع الحدود بين البلاد الاسلامية ، ليتمكن من استعباد بلاد متجزئة غير مرهوبة الجانب ، والخلاف يعبث بسكانها بدسائس كثيرة ، ومصالح شخصية ، حتى استطاع الغرب بعد الحرب العالمية الأولى ــ كما كانوا يزعمون ــ أن يجهز على الشرق » •

يذكر العرب ذلك كله ، واليوم يذكرون كيف مر مايقرب من نصف قرن على نكبة فلسطين العزيزة من يوم ان فرض الانجليز وصايتهم عليها وندبوا أنفسهم لادارتها عقب انتهاء الحرب ، ثم راحوا يؤكدون هذا الندب فى كل معاهدة تبرم ليجعلوا لانفسهم صفة الشرعية فى السيطرة والبقاء •

ويذكر العرب ذلك الكفاح المرير بين شعب فلسطين العربية وسائر من وقفوا الى جانبه من ابناء الشعوب العربية ، وبين اليهود ومعاونيهم من الانجليز خلال تلك الفترة الطويلة ، وما سال على هذه الارض الطاهرة من دماء ذكية •

ولقد أدرك العرب اخيرا .. ، أن كل ما تم فى فلسطين منذ احتلال الانجليز لها انما كان نتيجة لخطة الجليزية صهيونية اتفق عليهـا المستعمرون والصهيونيون خلال الحرب العالمية الاولى وقبلها ، وعمد الفريقان ومن ورائهما الامريكيون الى تنفيذها خطوة خطوة ، وحلقة حلقة . وكل ما كان يدعيه الانجليز من تقديم عروض وحلول انما هو خداع ونفاق ، وتخدير للاعصـاب ، وصرف الانظار عن حقيقة المؤامرة الاستعمارية الصهيونية التى بيتت ضد فلسطين التى كانوا مصممين على تنفيذها » .

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة من زعماء الشعوب العربية فيما مضى من أجل فلسـطين كان اهمها مؤتمر بيت المقدس فى عام ١٩٣٠ ثم مؤتمر القاهرة البرلمانى فى عام ١٩٣٨ حاولوا فيها ان يضعوا حدا لمهازل الاستعمار واطماع اليهود .

وكذلك بذلت بريطانيا وعودا ، وارسلت لجانا للتحقيق .. غير ان شيئا من ذلك لم يجد نفعا ازاء الخطة الموضـوعة التى انتهت فى عام ١٩٤٨ بتخلى بريطانيا عن ادارتها لفلسطين وتسليمها لليهود لقمة سائغة وفاء لوعد بلفور .

وقد حسب الانجليز ، وحسب معهم اليهود ومن وقف فى صفهم من فرنسيين وامريكان وغيرهم ان قضية فلسطين قد انتهت بقيام اسرائيل واطمأن جمعهم الى أن العرب سـيرغمون على قبول الامر الواقع ، غير أنهم قد صدموا عندما رأوا تصميم العرب جميعا على عدم الاعتراف بقيام اسرائيل لانها راس الجسر الذى يعبر عليه الاسـتعمار الى قلب الشعوب العربية .

ان المعركة لم تنته بعد من جانب العرب ، ولن تنتهى حتى يعود اهل فلسـطين العربية الى وطنهم الحبيب ، وتعود فلسطين الى الوطن العربى الكبير ، ترفرف عليها راية الاسلام والعروبة ، وتطهر من ارجاس اليهود .

لم يعد الحديث عن تحرير فلسـطين واحقية العودة لأبنائها الى ديارهم امانى واحلاما كما كان فى الماضى .

ولم تعد الخطب ، ولا الحجج والبراهين على بطلان مزاعم اليهود والانجليز كافية لتزحزح أقدام اليهود عن فلسطين او تكف من أطماعهم فيما سواها من ارض العرب والتصرف كما يشاءون فى تحويل مجرى نهر الاردن .

بل ان هناك عملا ايجابيا ، واسـتعدادات ، وتصميما أكيدا ، وكل ما فى الامر هو انتظار « ساعة الصفر » . ولن تفلت اسرائيل مهما تشبثت او تباكت واستجدت .

لقد تغيرت الأوضـاع ، وبرزت الى الوجود قوة عربية لم يكن الانجليز ولا اليهود يتوقعون بروزها من قبل او يحسـبون فى خططهم ودسائسهم حسابها تلك هى الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد عرف العرب جميعا ، وعرفت اسرائيل ، وعـرف الانجليز ، وعـرف العـالم اجمع مركز الجمهورية العربية المتحدة ، وقوتها ، والخطوات السريعة التى قطعتها نحو التقدم والسيادة .

ولقد ركزت الجمهورية العربية المتحدة مبادئها واهدافها فى الميثاق الذى صـدر فى ٢١ من مايو عام ١٩٦٢ .

لقد صور الميثاق احداث الماضى فى صـدق ، ورسم حاجات الحاضر ومايقتضيه التطور فى وعى ، وخطط للمستقبل فى تؤثب .

ولم يغفل الميثاق شئون الشعوب العربية ، بل انه اعتبر الجمهورية العربية المتحـدة جزءا من الوطن العربى الكبير .

ويعنينا فى كلمتنا هذه نظرة الميثاق الى قضية فلسطين بالذات .

لقد صور الميثاق هذه القضية تصويرا كشف نوايا المستعمرين واليهود نحو الوطن العربى بعامة وفلسطين بخاصة . فذكر فى البـاب الرابع : ان الاستعمار تنكر لكل عهوده التى قطعها على نفسه خلال الحرب العالمية الاولى .

وكانت الامة العربية تتصور انها قريبة من يوم الاسـتقلال ويوم الوحدة . ان الامل فى الاستقلال

تلقى ضربات قاسية .. فان البلاد العربية قسمت بين الدول الاستعمارية وفق مطامعها ، بل وفق نزواتها .. واخترع ساسة الاستعمار كلمات مفيدة لتغطية الجريمة التى اقدموا عليها ككلمات الانتداب والوصاية .

ان قطعة من الارض العربية فى فلسطين قد اعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية .. ارادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة . كما ارادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الارض العربية ويحجز المشرق عن المغرب.

ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للامة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابى . ان ذلك كله تم بطريقة تحمل طابعا استفزازيا لا تقيم وزنا لوجود الامة العربية او لكرامتها .

ان سخرية القدر من الامة العربية وصلت الى حد ان جيوشها التى دخلت فلسطين لتحافظ على الحق العربى فيها ، كانت تحت القيادة العليا لاحد العملاء الذين اشتراهم الاستعمار بالثمن البخس . بل ان العمليات العسكرية تحت هذه القيادة كانت فى يد ضابط انجليزى يتلقى اوامره من نفس الساسة اليهود ليعطوا للحركة الصهيونية وعد بلفور الذى قامت على أساسه الدولة .

ففى فلسطين اعطوا للحركة الصهيونية وعد بلفور الذى قامت على اساسه الدولة اليهودية فى فلسطين .

ثم عاد الميثاق فى الباب السابع يكمل هذه الصورة : ان قوى الاستعمار العالمى واحتكاراته تسعى الى هدف واحد هو وضع الارض العربية الممتدة من المحيط الى الخليج تحت سيطرتها العسكرية حتى تتمكن من استغلالها ونهب ثرواتها.

ولقد وصل التآمر الاستعمارى الى حد انتزاع قطعة من الارض العربية فى فلسطين قلب الوطن العربى ، واغتصابها دون ما سند من حق أو قانون لصالح اقامة فاشستية عسكرية لاتعيش الا بالتهديد العسكرى الذى يستمد أخطاره الحقيقية من كون اسرائيل أداة للاستعمار .

د . سعد الدين الجيزاوى

أبو تمام والتجديد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ٣ -

رحيله الى الشرق :

كان الشاعر جواب آفاق كما وصف نفسه فى قوله :

وغربت حتى لم اجد ذكر مشرق
وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

ولهذا نراه ينصح غيره بما نصح به نفسه ففى قصيدته التى مطلعها :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد
وعاد قتادا عندها كل مرقد

يقول :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديباجتيه ، فاغترب تتجدد
فانى رايت الشمس زيدت محبة
على الناس ان ليست عليهم بسرمد

فلما ترامت شهرته الى الخليفة المعتصم فى بغداد ، استقدمه اليها فمدحه مدائح خالدة نسوق اليك طرفا منها :

قال يمدحه حينما فتح عمورية :

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتقب ، فى الليل مرتهب
لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها فى جحفل لجب
خليفة الله ، جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والاسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال الا على جسر من التعب

وصلات الخلفاء العباسيين للشعراء كانت سخية الى ابعد حدود السخاء ، والحديث عنها فى أمهات الكتب ، فمن شاء أن يرجع اليها فليفعل .

- نجد الشاعر مع تلك الصلات السخية من الخليفة المعتصم ، ومع صلته الوثقى به وتكريمه فى مجلسه ، يسافر سفرا نفسيا ان لم يستطع الرحلة الى بلد آخر غير بغداد ، فاذا استطاعه فهو اليه مسارع ، والى ركوبه عجول ، فقد اتصل برجال الخليفة فى بغداد وفى خارج بغداد ، فمدح وزيره محمد بن عبدالملك الزيات ، وانشد كثيرا من رجال دولته ، كالحسن بن وهب ، والحسن بن سهل ، واحمد بن ابى دؤاد ، ومحمد بن حميد الطوسى ، والافشين ابن ابى دلف العجلى ، وعبدالله بن طاهر ، وخالد بن يزيد بن مزيد .. ، وكثير غير هؤلاء من رجالات الدولة واصحاب الراى فيها .

وهنا يجمل بنا أن نتساءل : لماذا أغرم الشاعر بالرحلة ، وشغف بالتنقل ؟ والجواب كما قدمنا أن ذلك لم يكن لجمع الثروة أو تكديس المال ، اذ المعروف عن ابى تمام انه كان متلافا ، لا يبقى على عطاء ، ولا يدخر من يومه شيئا لغده ، ولو انه وصف لنا حياته لما زاد على قول القائل :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب
ولك الساعة التى انت فيها

وهذا المذهب قد يستقيم مع حياة الفنان الكاسب لانه يجرى مع طبعه فى تخيل الأشياء وفهم الحياة « ولكنه لا يصلح لغيره لمجافاته للمنطق ولمصادرته لنواميس الطبيعة التى تجرى غالبا على نسق منطقى قلما يختلف قصد أبو تمام خالد بن يزيد بن مزيد بارمينية فمدحه فوصله خالد بما رضيت به نفس الشاعر ، فاعد العدة للرحيل من عنده ، فما ان وصل الى ارباض ارمينية ، وكان الجو ربيعا والارض معشوشبة ، حتى طابت له الاقامة فيها فالهواء عليل والغصن مورق ، والمال موفور ؟ والنفوس الشاعرة اذ يتاح لها مثل هذا الترف ، تسرف فى الاستمتاع به اسرافا قد تنكره النفوس العاقلة .

وقد ظل شاعرنا اياما هكذا خاليا الى نفسه ومتعه حتى خرج ابن يزيد الى الصيد فى اطراف المدينة ، فاذا هو بابى تمام جالس تحت شجرة يشرب وغلامه يغنيه بالطنبور ، فادرك خالد كل شىء وعرف فيه المتلاف الذى لا يرجى صلاحه ، فقال له : ما فعل المال ؟ فانشد ابو تمام :

علمنى جودك السماح فما
ابقيت شيئا لدى من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به
كأن لى قدرة كمقدرتك
تنفق فى اليوم بالهبات وفى الـ
ـساعة ما تجتنيه فى سنتك
فلست ادرى من اين تنفق لو
لا ان ربى يمد فى هبتك

قالوا ، فامر له خالد بمثل ما رضيت به نفسه من قبل .

وهذا المثال وكثير غيره يهدينا الى ان ابا تمام كان غويا متفقا ، فالمال فى تقديره وسيلة لا غاية ، ومن أجل هذه الغاية نراه قد جند نفسه لكسب المال وحشد مواهبه لاقتناصه وكسبه ، ولكنه مات شابا دون أن يظفر بكل غاياته ، وقضى ولم يترك ثروة تذكر ..

ثقافته ، واثرها فى فنه :

كان اختيارنا لابى تمام ملاحظا فيه أنه جاء على راس القرن الاول من قيام الدولة العباسية التى بقيت قرنين من الزمان ، وانه المثل الحى لالتقاء الثقافتين : العربية والأجنبية ، وانه الشاعر الرحالة الذى عاش فى الشام ، واقام فى مصر وبغداد ، وشد رحاله الى خراسان وارمينية ، وهذه امور لها خطرها فى الكشف عن حقيقة الثقافة ونوعها فى العصر العباسى كله .

وقد أصاب صاحبنا قسطا وافرا من كلا الثقافتين ، ومزج بينهما فى فنه ،فطورا بينهما برزخ لا يبغيان ، وطورا آخر يختلطان حتى يحيف احدهما بالآخر ويظلمه .

وقد عرفنا اقبال حبيب على العلم فى جامع الفسطاط ، فحذق اللغة والادب ، ونال من الحديث والفقه والنحو حظا نضح على شعره ، وشارك فى المنطق والفلسفة وما اليهما مشاركة اخصبت افكاره وتاملاته .

فلما صار الى بغداد الف القراءة والدرس كذلك، فلما سافر الى قزوين لم تفارقه عادته ، فقد روى الشاعر ابن المعتز قال : وحدثنى أبو الفضل محمد بن قدامة فقال : دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما كاد يرى ، فوقفت ساعة لا يعلم بمكانى لما هو فيه ، ثم رفع رأسه فنظر الى وسلم على فقلت له : يا أبا تمام انك لتنظر فى الكتب كثيرا ، وتدمن الدرس فما اصبرك عليها ! ، فقال والله ما لى الف غيرها ولا لذة سواها، وانى لخليق ان اتفقدها ان احسن، واذا بحزمتين واحدة على يمينه وواحدة على شماله، وهو منهمك ينظر فيهما ويميزهما من دون سائر الكتب فقلت : فما هذا الذى أرى من عنايتك به أوكد من غيره ؟ ، قال : اما التى على يمينى فاللات واما التى على يسارى فالعزى أعبدهما منذ عشرين سنة ، فاذا عن يمينه شعر مسلم بن الوليد صريع الغوانى وعن يساره شعر أبى نواس .

وقد قيل فى سبب تأليفه لكتابى : ديوان الحماسة ، والوحشيات ، انه نزل ضيفا بهمدان على صديقه ابن مسلمة فلما عزم على الرحيل سقط الثلج فسد الطرق فقال له صديقه : وطن نفسك على أن الثلج لا ينحسر الا بعد زمان ، فلزم خزانة كتبه ، والف هذين الكتابين .

فاذا شئنا ان نتعرف على اثر هذه الثقافات فى شعر حبيب ، فلننظر فى ديوانه ، وفيما نقدمه من ابيات كاف فى ابراز الاثر ، من قصيدة لابى تمام وانشدها عبدالله بن طاهر :

ايهذا العزيز قد مسنا الضر
ر جميعا ، واهلنا اشتات
ولنا فى الرجال شيخ كبير
ولدينا بضاعة مزجاة

***

بعد ما أصلت الوشاة سيوفا
قطعت فى ، وهى غير حداد
من احاديث حين دوختها بالرأ
ى كانت ضعيفة الاسناد

***

لم يتبع شنع اللغات، ولا مشى
رسف المقيد فى حدود المنطق
فى هذه خبث الكلام ، وهذه
كالسور مضروبا له والخندق

***

افيكم فتى حر فيخبرنى عنى
بماشربت مشروبة الراح من ذهنى؟
غدت وهى اولى من فؤادى بعزمتى
ورحت بما فى الدن اولى من الدن
فقد تركتنى كأسها ، وحقيقى
مجاز ، وصبح من يقينى كالظن
جهمية الأوصاف الا انهم
قد لقبوها جوهر الأشياء

مذهبه الفنى :

فن ابى تمام يمثل ثقافة عصره أصدق تمثيل ، اذ انه الانطباعات الدقيقة لكل الخلجات الفكرية والعاطفية للنفس العباسية، فهو معرض للقضايا السياسية ، والاحداث الاجتماعية والانتفاضة الثقافية ، وشعره بهذه المثابة يعتبر وثيقة تاريخية صادقة لمن شاء أن يستجلى طابع العصر بالدراسة والتسجيل ، وهذا هو رأينا فى فن ابى تمام من حيث صدقه فى التعبير عن الواقع الاجتماعى والثقافى ، ومن حيث غرامه بالجديد الذى افسح له فى فنه مكانا ، وهذ التطور الفنى كان – فى تقديرنا – حسنة من حسنات حبيب لولا ما خالطه من حماس شديد كان يبتعد به أحيانا عن العواطف الفنية التى هى جوهر الفنون ، وطابعها الاصيل ولعل له فى ذلك بعض العذر انه كان لا يرى فى الفن الشعرى مجرد اثارة وتسلية ، بل الشعر عنده ينبغى أن يكون متعة تشترك فيها العواطف والعقول جميعا ، ولهذا فانه يستحث بفنه الفكر حتى يحقق له وللاحساس متعة أبقى وأدوم .

وقبل أن نقضى فى أمر مذهبه الفنى بشىء حاسم، يحسن بنا أن نفرق بين الصنعة والتكلف ، أو التهذيب والتعمل ، وقد مر بنا الفرق بين الطبع والصنعة .

د. عبد الرحمن عثمان

محرّم شاعر الاسلام

للأستاذ علي أحمد باكثير

ذكرى من الحق والايمان والنور ... جئنا نحج اليها فى دمنهور
جئنا اليها وفى ابصارنا ظمأ ... الى اجتلاء السنا من تلكم الدور
جئنا اليها وفى اكبادنا عطش ... لمنهل سلسبيل غير منزور
لاحت فجاشت بنا الاشواق، وانطلقت ... اصواتنا بين تهليل وتكبير
ثم اعترانا خشوع عند ساحتها ... كأنما قد هبطنا جانب الطور !

***

جئنا نؤدى حقوقا طالما نكرت ... لشاعر عبقرى غير منكور
قد تاه وهو صبى بعد ذات ضحى ... حتى الى عبقرا ارض الاساطير
فهام ما بين قيعان واودية ... مسحورة ، وقصور من قوارير
كثبانها من يواقيت ، وتربتها ... من عنبر ، وعذاراها من الحور
يرقصن فى حلل موشية عجبا ... على غدير مضىء الماء بلورى
عاد الصبى الى أهليه فى جذل ... وفى محاجره احلام مسحور
فلم يزل منذ ذاك اليوم ينشدهم ... كأنه بلبل بين العصافير
حتى امتطى من براق الشعر صهوته ... الى السماء شهابا ساطع النور

***

منازل لم يزل من (أحمد) عبق ... فى جوها مثل انفاس الازاهير
وفى وجوه بنيها من سماحته ... وداعة تتجلى فى الاسارير
وفى لسان بنيها من فصاحته ... ما شئت من كلم كالدر منثور
(محرم) كان يمشى ههنا جذلا ... حينا وحينا اخا هم وتفكير
يجفوه الا قليل من معارفه ... يا للرجال لفضل غير مقدور !
يمر كالطيف فى رفق وفى دعة ... وفى جوانحه مسجور تنور
يلقى شواظا على المحتل يحرقه ... ويرسل السخط يغلى فى الجماهير
قد اكبر الشعر ان يهدى الى ملك ... او ان يراد به صيد الدنانير
فعاش ما عاش فى عز وفى شرف ... وان تقلب فى بؤس وتقتير

***

محرم شاعر الاسلام صاغ له ... ما فات حسان من مدح وتوقير
اوحى له صادق الايمان فانطلقت ... آياته بينات كالمزامير
قد صاغها من صميم الحق ملحمة ... ان صيغ من باطل الياذ هومير
كم رد عنه اباطيلا ملفقة ... من ملحد او اخى بغضاء موتور
يروعها بقوافيه فيكشفها ... كالنور يكشف اوهام الدياجير
ولم يزل فى ذوى الاقلام من قدم ... دعاة هدم وتشكيك وتدمير
يبغون اطفاء نور الله جهدهم ... والحق ابقى على الدنيا من الزور

***

تيهى دمنهور . كم انجبت من ادب ... حى وشعر على الايام مشهور
فى (البحيرة) سر ليس نعرفه ... ينحو البيان به من فعل اكسير ؟
لو لم يكن لك الا احمد لكفى ... به على الدهر مجدا غير محصور

منْ أنت ؟

للشاعر كمال نشأت

من انت يا من ايقظت مهجتى   فهومت فيها ليالى السأم
اخذت من عمق جراحى ضحى   ملفعا فى دفئه بالألم

***

نثرته فوق دروب الأسى   ياكل من قلبى ظلام النواح
كشهقة المصباح فى هيكل   مهدم تعول فيه الرياح

***

من انت .. يا من حبها فى دمى   كراهب لهفان فى كهفه
يزرع فى قلبى حقول المنى   ويحصد الاحلام فى كفه

***

من انت .. يامن روحها عانقت   روحى .. وهامت فى دجى سرها
تكتم شجوا عاصفى الخطى   مصوحا ما اخضر من عمرها

***

احلامها البيضاء فى مرجه   عذراء فى رقة طفل رضيع
تمشى على الأفق وفى خطوها   ينبت فجر .. ويغنى ربيع

***

من انت .. يا من ايقظت مهجتى   فدمدمت ذكرى تشد الألم
النسر سر مبهم فى الدجى   وفى الضحى يغزو الجناح القمم

***

من انت .. الى موجة حرة   تلقفتها لهفات الرمال
سرا من البحر الذى يرتمى   فى صدره الخلد ويغفو الزوال

منْ أغانى الصّباح

للأستاذ محمد مصطفى الماحى

نور الصباح وغنوة العصفور
توحى الى بفرحتى وسرورى
فاقوم مبتهجا اغنى غنوتى
واهيم بين جداول وزهور
واعانق الآمال فهى بخاطرى
تنساب بين جوانحى وشعورى

واظل اصغى للطبيعة حالما
فى جنة من فنها المسحور
اهفو الى الصبح الوديع كأننى
امل ينور مشرقا بالنور
وامد كفى للحياة مصافحا
فى غبطة وسعادة وحبور

خواطر وآمال

للمستشار أنور حجازى

أيا شرقى ، ويا وطنى ، ويا عروبتى :

يا مهبط الوحى وأرض الرسالات ، ومناط السلام ، ومنبت حضارات البشرية الاولى ، ومعين أمجاد آبائنا الأولين .

أيا شرقى ، ويا وطنى ، ويا عروبتى :

وهبت الوجود فى نشأته الاولى كل شعارات النبل والنخوة والايثار والتضحية والاخاء والتآخى ، وعلمت البشرية معنى المساندة والمؤازرة والبذل ، وعلمتها ان تتقدم بها للانسان طواعيه واختيارا ؛ ان سعى الى الجوار والرحاب والحمى يستجير او يطلب العون فتمنحه مع عونك كل الرعاية وكل التكريم ، تمنحها هبة موهوبة بلا مقابل أو ارتقاب جزاء .

أيا شرقى ، ويا وطنى ، ويا عروبتى :

ارسيت فى مجالات الحياة الاولى دعامات للأصول الرفيعة فى السلوك والمعاملة ، وجعلت لها شعارات بلغت مكانا عليا فى سمو التشريع والتقنين .

تربعت على عرش تلك الاصول الرفيعة فى السلوك والمعاملة منذ استقامت لك دواعى الحياة ، وصرت مسئولا فى مضمار البشرية ، تدعو وتوجه ثم ترشد وتنير السبيل ، أرسيت الدعامات الاولى فى مجالات الفكر والتثقيف والعرفان وحضارة الانسان ، حضارته الاولى التى تمثلت فى آداب الحياة وفلسفة الوجود ثم فى مجالات الطب والكيمياء والكشف عن خبايا الكون وأسراره .

أرسيت للعالم الحديث اسسا اقام على أعقابها تلك الحضارة الغامرة التى ازدهرت بها دواعى الحياة، وانطلقت من عندها مقومات التحضر بلا حدود أو قيود .

ويشهد على قدرك فى هذا المقام ، الغرب والشرق على السواء ، جئتهم « بجابر بن حيان » الذى اخترق حجب الكيمياء وفك طلاسمها والغازها وأوضح منها ما استغلق على أفهام البشر ورصدها فى مؤلفات ظلت مرجعا هاديا ومرشدا لجامعات أوربا كلها ؛ وظلت تدرس فيها حاملة اسمه بلا جحود أو انكار كما ظلت مرجعا لجامعات أوربا وفى انجلترا وأمريكا وروسيا حتى القرن الخامس عشر ، وحتى واتتهم من ثناياها الفكرة فانطلقوا بها فى المجالات العلمية ناجحين ، وكان أن ظفر العالم الحديث بهذا النصر الخفاق فى العلوم والاختراعات والسيطرة على أسرار الكون .

وقدمت للبشرية « عباس بن فرناس » الذى وهب حياته قربانا فى سبيل اختراع الطائرات ومحاولته المعلومة فى هذا السبيل .

ثم أحييت الأمل فى قلوب الناس لما طلعت على الوجود بمواهب « ابن سيناء » فى الطب والعلاج ومقاومة الامراض التى كانت تفتك بالبشر بلاحساب وبلا قدرة على المقاومة أو اتقاء ما تحمل من شرور .

وجئتهم «بابن خلدون» فى عالم الادب والاجتماع، وظلت مقدمته التى طبقت شهرتها الآفاق منهلا عذبا للدرس والتعليم فى جامعات العالم شرقيه وغربيه حتى يومنا هذا .

ولم يقتصر زادك الذى قدمته للبشرية على مجالات العلم والاختراع ، بل أسهمت بقدر رائع غير منكور فى مجالات الآداب العامة والأسس الرفيعة للخلق وأصول الشجاعة والاقدام ، ومقومات السلوك الانسانى الرفيع .

قدم تلك الأصول وغيرها بعد محمد عليه الصلاة والسلام الخلفاء الراشدون مثل أبى بكر وعمر وعلى، ومن قادة الجيش خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وصلاح الدين ، وهؤلاء وهؤلاء وغيرهم كثير بحيث يفيضون على طاقة الحصر والتعداد والاحصاء.

أيا شرقى ، ويا وطنى ، ويا عروبتى :

اختارتك رسالات السماء مهبطا وعاصما ووجاء، واختارتك البشرية فى وجودنا العاصف لتكون الدرع والسند والحفاظ ، لتصون لها تراثها وميراثها الموروث من أمجاد وانتصارات علمية وما استحصلت عليه من مجد تقدمى وحضارى زاخر حافل .

كنت صمام الأمان الذى ترجحت بك كفة الخير والسلام ، تناصرها وتنتصر لها وتقف الى جوارها .

فاستقدمت الى ربوعك قادة الراى والفكر والسيف والقلم على السواء ، استقدمتهم وكشفت عن نياتهم وما انتويت ؛ فايقنوا أنك جاد فى سبيل حماية السلام كما أيقنوا أنك صنديد قادر لك من الشأن والاقتدار ما يفى لتدعيم عزماتك ، فآمنوا بما آمنت

وكان النصر حليفك وحليف السلام ، اذ صمدت لنذر الشر والسوء تدفعها وتردها فارتدت على أعقابها ليغمر الارض السلام ويعز بعزمك أمن الحياة وأمانها أردناك للخير محرابا ، وللسلام عاصما ووجاء ، وكنت لكل ذلك كفئا وجديرا .

وتريدك اليوم فينا عصبة مضمومة متحابة متآخية لتتجانس باتحادك أمارات العزة وكمال القصد وأسمى الاهداف والآمال ، ولتتجدد باتحادك صدارة تفرض لها فى الوجود مكانا عليا ، هو مكانك الحق ومكانك الذى كان وسيكون حتما والى الأبد فى قمة العلا ورفعة السماء .

أيا شرقى ، ويا وطنى ، ويا عروبتى :

هذا مصيرك المحتوم أنبأتنا به الاحداث ، أحداث فى ربوعنا ، وأحداث فى رحابنا ، وأحداث فى جوارنا ، وأحداث لدى أبناء عمومتنا ، تلك الاحداث التى تترى فى تتابع مرموق ، انتفاضات من الاباء نجونا بها من اسارات التخلف والركود ، وركضنا فى موكب الزمان نصول فى مضمار حضاراته حتى صرنا فى مسار الطليعة أو كدنا ، نتمثل القدوة الحسنة والمثل الطيب والنبراس المضىء ، وتسلحنا لكل ذلك بعزمات تحصنت بالصدق والايمان العميق بحقنا فى حياة أفضل ، وتتوجت الآمال بارادات قوية لاتعرف النكوص أو النكال ، اهتزت لها هياكل التراجع والتردد وتثبيط الهمم فانقشعت غمة تلبد بها صفاء سماوات ربوعنا ، وعاد الصفاء وعاد الضياء ، وارتفعت بهما أعلام الرضا وأعلام الأمل تمجيدا وتأييدا لأعلام الحرية والأمان والسلام ، وانطلقت بنا الأحداث فى سبل الحياة واضحة المغزى والمعنى ، محددة المعالم ؛ اطارها آفاق بلا حدود ، حتى سارت العزة فى صفوف بعض أمصارك فبلغت مصائر الاكرمين جاها ومنعة واقتدارا .

أيا شرقى ، ويا وطنى ، ويا عروبتى :

مارست النصر ، ومارست الجاه والعزة والعظمة والجبروت ، مارست كل ذلك كريما متواضعا ، سامى الغاية ، أبيا على الافتراء ، أبيا على الغواية والتشفى والانتقام ، سموت على الاحداث مهما كبرت ، وسموت على مدارك البشرية الاولى التى تطورت بسلوكك الى فهم ووعى وحسن ادراك ، استحدثت على مفهومها الفطرى الغاشم سياسة الحاكم العادل الحصيف ، واستحدثت على مفهومها الفطرى الغاشم أن للفرد حقوقا أولى بالرعاية والصون والحفاظ .

رسمت للحاكم أن يعف ويعفو ، ورسمت له متى يتسامى ويتسامح ، ومتى يغفر لأنه قادر ولأنه كبير ، والعفو عند المقدرة شيمة من شيم الكبار القادرين .

سموت بالخصومات الى مستوى الانسانية وجعلت فصل الخطاب فيها لقولة العدل والانصاف ، ونزعت الحاكم عن الهوى ، وبصرته بالسلوك الأحق بان يتبع .

وتجلى سمو الغاية والتأبى على الاحداث والسمو بالخصومة الى مستوى الانسانية الرفيع ، تجلى كل ذلك فيما أمر به رسول الله جنده ورجالات جيشه بأن يعاملوا العدو الجريح والصريع الحى ابان الحرب معاملة جرحى أنصاره من حيث الرعاية والتطبيب والعلاج .

وتجلت تلك المعانى السامية من بعده فى خلفائه الراشدين والقادة وأولى الأمر اللاحقين ، تجلت فى سلوكهم مظاهر التأبى والترفع والسمو بالخصومات الى مستوى الملائكة المنزهين ، فحين يصل الى أسماع عمر بن الخطاب أن محمدا بن عمرو بن العاص ضرب مصريا وغلبه على أمره ، انتفضت فى نفسه أمارات الحاكم العادل الحصيف الأريب البتار ، وبعث اليه يدعوه ومعه ابنه فى رسالة اهتز لها كيان عمرو بن العاص القائد المغوار والسياسى اللماح الأثير عند ولى الأمر والقريب الى نفسه وقلبه فاسرع الى تنفيذ ما أمر به ، ومثل بين يدى عمر الذى حاسبه وابنه حسابا عسيرا .

تجلت كذلك فى قمة السمو بالخصومة الى مستوى الملائكة المنزهين وفى قمة العفو والتسامح ، لما عفا الحاكم العربى عن الاسبانى الذى اعتدى على ابنه ، والعدوان فى غير هذا المجال كان أولى باقصى العقاب وأقصى الجزاء ، ولكن الحاكم الاريب وهو يملك ناصية الجاه وعزة الملك ضرب المثل النادر الكريم وعفا عن الاسبانى الآثم حتى ولو كان صاحب الحق المضيع هو ابنه وفلذة كبده .

وصار سلوكه عبر التاريخ مثلا وعبرة وقدوة للحاكمين ، وتنبيها للناس أن هذا السلوك العربى الفريد حقيق بالتسجيل والاعتبار .

ويذكر القاصى والدانى ، ولا ينسى التاريخ والرواة فى الشرق والغرب على السواء ما ضرب به صلاح الدين الأيوبى من مثل عليا فى التأبى والترفع والسلوك الانسانى الرفيع النبيل ، يسجل التاريخ

في سجله الباقي أن صلاح الدين قد بعث الى خصمه المريض وعدوه اللدود «ريتشارد» قلب الاسد ملك الانجليز الذى جاء بلاد العرب غازيا وفاتحا وبادئا بالعدوان في الحرب الصليبية الطاحنة ، بعث اليه بالطبيب والدواء والفاكهة المثلوجة مشفوعة باطيب الدعوات ليلتقى به في ساحة الوغى عدوا صحيحا معافى ، لانه يأبى ، وتابى عليه عروبته أن يلتقى به مريضا عاجزا عليلا ·

معنى تتخلد به انسانية الانسان وقدره ان صدر عن واحد من الناس ، ويعلو على السمو ذاته ان صدر عن سياسى وحاكم وقائد جيش ، معنى اهتزت له أفئدة المنصفين والمغرضين على السواء ، واتفقت فيه الآراء في الشرق والغرب ، وسجله الاعداء قبل الاصدقاء، وأشادوا به عظة وعبرة وقدوة انسانية فريدة يندر أن يدانيها سلوك حاكم وقائد جيش في عصر الحياة باكمله ·

شذرات من سجل التاريخ العربي الحافل تروى في مجال التندر والمثال ، لأن الاحصاء في غير قدرة القادرين ، والرواية والسرد لمجرد التذكيروالتبصير، اما الاحصاء فقد يكون للمن والزهو المغرور،وحاشا للعربي أن يمن ويزهو مغرورا لانه مارس كل ذلك سجية مالوفة بلا صناعة أو ادعاء ·

انور حجازي

« يتبع »

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة

وزاره الثقافة والارشاد القومى

أرض المعارض بالجزيرة
القاهرة

من ١٩ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر ١٩٦٣

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

المفاهيم بين المطرقة والسندان

ان المفاهيم التى تمثل القيم العظيمة فى حاجة قبل كل شىء الى الاخلاص لها ، والاخلاص لها يحتم على من يتناولها ان يجيد فهمها قبل أن يجيد تحديدها وأن يكون واقعيا بعد ذلك ومجردا من كل هوى يفرض عليه التعصب لها او عليها ، والذى يتصدى للكتابة عن مفاهيم القيم يجب أن تكون غايته الوصول الى الحق وحده فيما يكتب وفيما يقرر .

وشر ما تصاب به المفاهيم القصور عن فهمها .. والتميع خارج حدودها ، والضغط عليها لتسهل قابليتها لما يريده الكاتب ، لا لما تريده حقيقتها وهو يجد فى مجال التأويل والخيال متسعا له ليكيفها حسب هواه .

هذه خواطر سريعة جالت بذهنى وقد انتهيت من قراءة كتاب «الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى بين النظرية والتطبيق» للاستاذ البهى الخولى مدير الثقافة بوزارة الاوقاف سابقا .

ولا شك أن هناك سيلا من الكتب الاسلامية تعرضت فى الآونة الأخيرة للاشتراكية الاسلامية .. لعبت العاطفة والخيال فيها دورا خطيرا ، وعنايتنا بهذه الكتب كدراسة اسلامية ، يجب الا ينسينا عنايتنا بالكتب المجردة التى أرهصت باشتراكية الاسلام منذ بضع عشرة سنة

يجب أن تكون هذه الكتب مقياسا لنا ونحن نعرض أى كتاب عن الاشتراكية الاسلامية ظهر حديثا ، لانها قدمت دراسة عن عقيدة مجردة ، فى وقت كان مجرد الحديث عن الاشتراكية جريمة يعاقب عليها القانون .

ولنعد الى كتابنا الذى بين أيدينا ، والذى نشرته مكتبة وهبة بعابدين ، فى زهاء مائة وثمانين صفحة ، والمؤلف كاتب اسلامى معروف ، سبق أن تتلمذنا وتتلمذ كثير من رواد الثقافة الاسلامية على مؤلفاته ومقالاته فى شتى الصحف الاسلامية ، وسبق أن تولى منصبا ثقافيا ذا أهمية فى وزارة الاوقاف .

المؤلف قبل كل شىء يعرض منهجه فى دراسة قائما على أساسين :

«الرجوع الى موارد الاشتراكية الاصيلة فى كتاب الله واستخلاصها جميعا آية آية فى احصاء دقيق شامل ، ثم تصنيفها بحسب الاغراض والمعانى فى أبواب متميزة ، تتجلى فيها أصالة الحق ، ودقائق السر وروعة شمول القرآن » .

والاساس الآخر : عرض الاشتراكية مصورة فى سير رجالها الذين فقهوا مبادئها ، واشربوا عقائدها وانفعلوا بوحيها فى عمق .. واخترت سيرة صحابيين جليلين كنموذجين رفيعين ، وعلمين على الاشتراكية الاسلامية هما أبو ذر الغفارى ، وعبد الرحمن بن عوف .

ولا يسمح المجال هنا بمناقشة افكار الكتاب كلها وانما يسمح بمناقشة ارتباط المؤلف بمنهجه الذى اختاره لدراسته ، لاسيما وهو يقرر فى مقدمته انه التزم أصل الاسلام فى ما عرض من حقائق .

ونحن نرى قبل أن نتعرض للكتاب أن مفهوم الاشتراكية فى نظر الاسلام : انما هو تحقيق العدالة الاجتماعية فى حدود العدل ، ولا أظن المؤلف يخالفنا فى هذا ، أما الوسائل الى تحقيق العدالة الاجتماعية فمقياسها الارتباط بالنص الاسلامى فى غير تزمت من ناحية ، ومن ناحية أخرى دون ضغط عليه ، أو تأويل فاسد له ، أو تلاعب بالفاظه .

واظن مرة أخرى أن المؤلف يوافقنا على أن الاشتراكية فى الاسلام تقوم على أساسين : الاول واقعى ملزم يتمثل فى الزكاة وموارد بيت المال الاخرى باعتبار بيت المال هو القاعدة التى تزود العدالة الاجتماعية بحاجاتها ، والأساس الآخر مثالى اختيارى متروك لضمير الانسان واحساساته ، وكلا الاساسين يكمل الآخر ، وهما معا يحققان التكافل الاجتماعى أو اشتراكية الاسلام فى مجتمعاته ، فاذا قصرا لظروف طارئة ، فان لولاة الامور أن يتخذوا من الاجراءات الاستثنائية ماشاء لهم أن يتخذوا فى نطاق العدل أيضا .

يهمنا بعد ذلك ونحن نناقش كتاب المؤلف فصلان من فصول الكتاب الستة ، هما «اشتراكية الاسلام» و «قواعد الاشتراكية فى ميدان التطبيق» ففى الفصل الاول يضع للاشتراكية قواعد أو أصولا ، فالمال مال الله أولا ، وملكية الناس للارض تابعة لملكية

الله سبحانه ، والناس يملكون الارض جماعة لاأفرادا ويؤكد نفيه للملكية الفردية بأنها تقتضي أمرين : ان تكون ملكيات متفاوتة المقادير وهذا ينافي عدالة الله ، أو أن تكون ملكيات متساوية ، وهذا مباين لمنطق العدالة العامة بالنسبة لتفاوت الافراد في المواهب ، ومن هذه القواعد أن الناس لايثمرون مرافق الارض وموارد المال بمجموعهم بل بأفرادهم ، فالمجموع ليس كائنا عضويا ، ولكن الفرد يعمل في مال المجموع لافي مال خاص به ، والفرد في مال الانتاج ليس وضعه كالآلة الحية ، ووضعه فيما يحوز من مال الجماعة وضع الخازن أو النائب أو الوكيل . وليس وضع المالك المطلق ، ويستطرد المؤلف في الفصل الآخر فيقيم أحكاما على قواعده ، ابرز هذه الاحكام ان الفرد – وهو خازن لمال الجماعة – ليس له أن ينفق منه الا مايسد الحاجة ، وما بقي يرد الى الجماعة .

الحق أن المؤلف كان في استطاعته أن يريح نفسه ويريحنا ، فيعلن أن الفرق بين الشيوعية والاسلام في النظام الاقتصادي ، أن نظام الشيوعية مرتبط بالارض ونظام الاسلام مرتبط بالسماء ، وان الشيوعية ترفض فكرة الله ، والمسلمين يعترفون بالله سبحانه ربا وخالقا رزازقا .

لقد وضح أن للمؤلف قدرة على الضغط على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتمييعها وصياغة مفاهيمها حسب مايريد ، ولو أخلص لمنطقه لساءل نفسه :

– لم اذن كان نظام الميراث في الاسلام اذا كان الفرد ليس له مما يملك الا مايكفيه ؟

لم لم يقبل الرسول من سعد بن أبي وقاص في مرضه في حجة الوداع أن ينزل الا عن ثلث ماله للفقراء ، وقال قولته المشهورة : «... والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء ، خير لك من ان تتركهم عالة يتكففون الناس» ؟

ولم ترك الرسول – صلوات الله عليه – أصحابه كافراد ، يملكون من الارض والمال ما استطاعوا .. ماداموا قد حصلوا عليه من مصدر لا غبار عليه ؟

ولم اقطع الرسول أرضا لعمر واشتراها عبد الرحمن بن عوف من ورثته بعد وفاته ، واقطع اراضي لوائل في حضرموت ، والزبير في خيبر ، ولم اقطع بلال بن الحارث المزني أرض العقيق ، وفرات بن حيان العجلي أرضا باليمامة ؟

ولم أقطع عمر رجلا من أهل البصرة أرضا ، وأقطع عثمان ارضا خمسة من أصحاب الرسول هم الزبير وسعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، وأسامة بن زيد ، وخباب بن الأرت ؟ .

العجيب ان المؤلف يلتقط ألفاظ القرآن ، ويضع لها مفاهيم من عنده دون حساب لما كان منها من قبيل المجاز ، فهو يقدم الآيات التي تسند ألفاظها المال وترده الى الله وحده ، وكأن ملكية المال محرمة على خلق الله .

انه يضغط على قوله تعالى : «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» وقوله : «وآتوهم من مال الله الذي آتاكم» لينفي الملكية الخاصة ، مع ان كثيرا من الآيات أسند المال والمتاع الى الافراد كملكية خاصة بهم : «ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن» ، «وجعلت له مالا ممدودا» ، «وما يغني عنه ماله» «لتأكلوا فريقا من اموال الناس» ، «ولا تأكلوا اموالهم الى أموالكم» ، «وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» . فهل يمكننا من هذه الآيات وغيرها أن ننفي ملكية المال عن الله بناء على منطق المؤلف «السليم» .

أما محاولته مساندة منطقه بأن اشعار الافراد بالملكية يبعث فيهم الغرور والطغيان ، مستندا الى بعض الآيات والأحاديث ، فهي محاولة اضعف من منطقه نفسه ، وأما كونه يستقي من كتب التفسير والتاريخ احاديث يؤيد بها أفكاره ومزاعمه ، فلا أظنه الا لونا من المغالطة ، وبعدا عن مقاييس البحث السليمة .

أما تقديمه صحابيين كأبي ذر وعبد الرحمن بن عوف نموذجين للاشتراكية أو للشيوعية التي أرادها ، فان اولهما نموذج للمسلم الزاهد ، والآخر نموذج للغني الشاكر الطامع في رحمة الله ، وكلاهما بعد ذلك نموذج للاشتراكية في جانبها المثالي عن طريق تنمية الاحساس والشعور .

وبعد – فانا لاازعم أن الدراسة التي قدمها المؤلف قد شاب جميعها التشويش على المعاني الاسلامية ، فان كثيرا من المعاني قد اضفى عليها لونا من التحليل العميق ، والروحية الصافية ، ولكن الذي اعتقده أن المؤلف قد ضغط كثيرا على بعض المفاهيم حتى تميعت ثم صاغها في القوالب التي شكلها بيديه ، واعترف بأن مقالا واحدا أضيق من ان يتعقب كتابا كبيرا في انحرافات بعض أفكاره ، ومغالطات بعض آرائه .

محمد عبد الله السمان

مع الكتاب العربي في اسبوعه الأول والثاني

للأستاذ تحسين عبد الحي

لقد كان الكتاب وما زال هو الصديق الامين للانسان – **يعلمه ويسليه – ويمتعه** – يقدم له الثقافة والمعرفة بمختلف أنواعها عندما يحتاج اليه ويحفظها له بين صفحاته ليزوده بها وقتما يريد وانه لشيء رائع حقا أن **يمجد الانسان صديقه ومعلمه « الكتاب »** .

لقد كان العرب أول من عنوا بالكتاب عندما كانوا ينسخونه ويزخرفونه بل وأحيانا – **يذهبونه** – والذهب كمعدن نفيس – لا يحلى به الا كل شيء نفيس ..

***

ولا شك أن أسبوع الكتاب العربي **فكرة وواقعا عمليا.. قد عبر عن ايماننا بالكتاب وأهميته كوسيلة بناءة في مجتمعنا الذي يسير بخطى سريعة نحو التقدم المدعم بالفكر النظري ..**

وقد اتخذ أسبوع الكتاب العربي شكل المهرجان الثقافي على أرفع مستوى.. بما تخلله من مناقشات وآراء لرجالات الثقافة والادب – عندما التقوا بقرائهم ومريديهم في الندوات التي اقيمت خلال ايام انعقاده .. بالاضافة الى عرض فيلم ثقافي موضوعه « **قصة الكتاب** » صور تطور فكرة الكتاب منذ ابتكار الحروف الهجائية الى ظهور البردي والورق الى اختراع الطباعة – ويطوف الفيلم بالمكتبات العامة ودور النشر والتوزيع ويختتم الرحلة بجولة في معرض الكتاب العربي ..

وكان « كتاب الأسبوع » عبارة عن بحث موجز عن الكتاب العربي ماضيه وحاضره ومستقبله ، وعن اهميته كوسيلة من وسائل الاعلام .. ويتضمن تاريخ تطور الكتاب – وتحليلا مختصرا لانتاج الجمهورية العربية المتحدة حاليا – مع الاشارة الى اتجاهات تطوير الكتاب ليؤدي دوره كاملا في الثورة الثقافية .. وكذلك ساهم **الفن التشكيلي** في أسبوع الكتاب بعرض صور من نشاط فنانينا – موضحا رسالتهم في مجتمعنا الجديد ، ثم كان النوع الجديد من الكتب – **وهو الكتاب المسموع** المسجل على اسطوانات ..

وعرض مسرح التليفزيون مسرحيتين من مسرحياته على رواد أسبوع الكتاب العربي .

***

وأقيم بسراي الجلاء معرض يمثل التطور التاريخي لفكرة الكتاب وعرض نماذج من الاقلام والمحابر القديمة والمواد التي استخدمت في الكتابة مثل البردي والرق والورق .. بالاضافة الى نماذج من طباعة الحجر وصور ضوئية تحكي تطور مراحل طباعة الكتاب على آلات الطبع الحديثة .

وهكذا كان أسبوع الكتاب العربي مهرجانا ثقافيا فنيا رائعا ، وكان الاقبال على معرض الكتاب اقبالا منقطع النظير لدرجة أن متوسط رواده كان يربو على **الخمسة الاف زائر يوميا** – يضاف الى ذلك **عدد يتراوح بين خمسمائة وألف مواطن** كانوا يقبلون على الندوات ليحجزوا اماكنهم في القاعة المخصصة لذلك قبل الموعد المحدد بأكثر من ساعة ..

وكان رواد المسرح يزيدون بكثير على ثمانمائة متفرج يوميا .

وهذا الاقبال على أسبوع الكتاب العربي **بمحتوياته واقبال الرواد على شراء الكتب القيمة بكثرة انما يدحض فرية أولئك الذين كانوا يتهمون الناس بالسطحية وعدم الاهتمام بالجيد من الثقافة والفكر..**

وقد تبرع اتحاد الناشرين في لبنان ومكتبة النهضة للطباعة والنشر والتوزيع بالعراق ووكالة التوزيع الاردنية بالقدس والاتحاد اليمني .. وهي دور النشر التي اشتركت في الاسبوع من الوطن

العربى ــ بكل كتبهــا التى عرضت فى الاسبوع للجزائر .

ولاشك أن هذا التبرع مضافا اليه توصية المؤتمر ومناداته بدعم المكتبات العامة بالجزائر للمساعدة على تعريبها **انما يحمل بين طياته معنى قوميا ساميا .. مؤكدا وحدة الشعور بالمسئولية تجاه ثورة الجزائر العربية ..**

***

وبعد.. ان رصد مبلغ الــ ٣٫٠٠٠ جنيه كجوائز لمسابقة الكتاب العربى لعام ١٩٦٤ عمل سوف يكون له أبعد الاثر لأنه حدد ثلاثة موضوعات هامة وحيوية مى موضوع **ــ الاشتراكية العربيةــ وتبسيط العلوم ــ وتبسيط الفنون ..** وبخاصة اننا فى موضوع **الاشتراكية بالذات فى حاجة ماسة الى كثير من الكتب التى تعالجه معالجة موضوعية بعيدة كل البعد عن الاسفاف الفكرى ..**

فاشتراكيتنا العربية كحقيقة نعيشها يجب ان تتجسد فى حياتنا ومعاملاتنا اليومية وعلاقاتنا كافراد، وسوف يكون من المفيد حقا ان ياخذ الكتاب دوره فى هذا المجال .. فالكتاب الجيد الذى يتفق فيه ــ الشكل مع المضمون ــ يلعب دوره القيادى فى ذهن الانسان ، وبخاصة عندما يخاطب فيه ــ العقل ــ ليعمق مفاهيمه ويقومها ..

***

واذا كان معرض الكتاب العربى فى أسبوعه الاول هذا العام لم يفسح المجال امام **المجهود الفكرى** الفردى عندما يكون هذا المجهود غير متقيد بناشر معين ــ ويوجد منه الكثير.. فاننا نرجو ان يستثنى من ذلك فى **اسبوع الكتاب القادم ــ نوع واحد من هذه الكتب** .. وهى الكتب التى تعالج **القضية** الفلسطينية من مختلف الوجوه من قصص ــ ودوادين شعرية ــ وغيرها ..**وذلك لكى يكتب فى فلسطين ــ ابنها ــ اللاجىء ..** الذى قد لا تمكنه ظروفه من الاتفاق مع دار للنشر .. ولان **عقدة كثير من دور النشر ما زالت الاسم اللامع .. للكاتب المعروف ..** ولا تتوافر هذه المواصفات فى كثير من الامكانيات الفكرية ــ الشريفة ــ **للذين عاشوا مأساتهم بانفسهم** .. فاذا رصدنا الجوائز لمثل هذه الكتب **عن فلسطين** ــ بشرط أن يختفى منهــا النواح والصفير ــ فاننا بغير شك نكون قد فتحنا الباب على مصراعيه أمام **ظهــور ادب النكبة .. الذى يقــدم لنا نماذج من الانســانية الضائعة على طول الأسلاك الشائكة عبر الحدود الوهمية.. تلك الحدود التى فرضت الجوع والحرمان والعراء .. على مليون عربى ــ يجب ان نعتبرهم شهداء ــ رغم انهم أحياء .**

واذا ما نجح **أدب النكبة** فى تادية رسالته .. فسوف يهز الضمير العربى من أقصى المغرب الى أقصى المشرق بعنف .. ولتكن هــذه أولى الخطوات **لتعبئة الوعى العربى ــ مقدما ــ لمعركة من المحتم علينا أن نخوضها .. ان عاجلا او آجلا ..**

لقد كان لنجاح أسبوع الكتاب العربى اثر بالغ فى جميع الأوساط **الثقافية والادبية لدرجة ان اكثر رواده طالبوا بان يستمر اسبوعا آخر .. وطالب آخرون بأن يستمر شهرا كاملا ..** وقد استجاب **السيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى لهذا المطلب الشعبى ..** ووافق على مده أسبوعا آخر حتى لا يفوت على البعض زيارته والاستمتاع بجوه الثقافى والفنى البديع ..

واسبوع الكتاب العربى الاول والثانى .. **يؤكد معنى اساسيا هاما وهو أن دراسة المشاكل والكشف عن العيوب هى اسلم السبل لمعرفة الحقيقة ، وغاية أسبوعى الكتاب العربى هو فتح باب المناقشة والدراسة التى ينتج عنها وضــع الأسس اللازمة لرفع مستوى الكتاب العربى الى المكانة اللائقة به..**

ونحن هنـا نحيى مهرجان الكتاب العــربى فى اسبوعه الاول والثانى **مشيدين بتلك الجهود الرائعة المثمرة التى وقفت وراءه وحركته فساعدته على تادية رسالته ..**

تحسين عبد الحى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

« فى وادى الهموم » للطفى جمعة

قرأت ماكتبه الى فى البريد الادبى الاستاذ محمد رشدى حسن المعيد بآداب القاهرة – فرع الخرطوم فى موضوع نشأة القصة الحديثة فى مصر · وهو يرى « أن محمد لطفى جمعة كان أول رائد للقصة المصرية بالمعنى الحديث» وذلك بما كتبه فى «فى بيوت الناس» سنة ١٩٠٤ و «فى وادى الهموم» سنة ١٩٠٥ وانه سبق محمد تيمور بثلاث عشرة سنة وتفوق عليه فى صياغة القصة ·

ويعزز الاخ رشدى رأيه بأن لطفى جمعة قدر له ان يطلع على روائع الادب الغربى فى أيامه ، ومقدمة فى وادى الهموم ترينا مقدار تفهمه للمذاهب الادبية السائدة فى عصره ، وأن دفاعه عن منهاجه الواقعى فى القصة يدلنا على مدى ثقافته الفنية التى أهلته لأن يختار من بين مذاهب الادب المذهب الواقعى ·

وقد قرأت قصة وادى الهموم ومقدمتها ، وأشرت اليها فى الاسبوع الماضى كدليل أوكجزء من الظاهرة الغريبة التى بدأت مناقشتها فى الاسبوع الماضى وهى مالاحظته من أن كتابنا ظلوا عشرات السنين يترجمون القصص من الآداب الاجنبية ويكتبون قصصا مصرية دون أن نظفر من أحدهم بقصة مؤلفة تتوافر لها عناصر الفن القصصى الحديث ·

أما كتاب «فى بيوت الناس» فانى لم أره ، وقد بحثت عنه ولم أجد فى دارالكتب كتابا بهذا العنوان الا مسرحية مقتبسة لسليمان نجيب ، ولعل الاخ محمد رشدى يدلنى على مكانه أو يتفضل بارساله الى ان كان عنده ، على سبيل الاعارة ·

على أننا نستطيع – مؤقتا – أن ندرك اتجاه المؤلف فى قصص هذا الكتاب التى سبقت كتابتها كتابة «فى وادى الهموم» ندرك ذلك مماقاله فى المقدمةمن أنه كان من قبل – أى من قبل كتابة قصة فى وادى الهموم – يكتب «قصصا ابطالها رجال ذوو همة وشجاعة وكرم وصداقة ، وفتياتها جميلات ذوات عفة وطهر ونقاء» وتساءل «أى رجل الآن شجاع كريم صادق الوعد وأى امرأة عفيفة نقية حافظة للعهد؟»

وهو يرمى بهذا الى أنه كان يجارى كتاب الخيالات والمثاليات التى لاتحدث فى الواقع ·

حقا لقد اطلع لطفى على روائع الادب الغربى وعرف مذاهبه وقال انه سيكتب على المنهاج الواقعى ، ولكن هل وفق فى القصة الحديثة بمعناها المعروف ؟

وحتى اذا كان قد وفق فهل هو أول من اطلع على الادب الغربى وعرف مذاهبه وكتب قصصا ؟

هذا مثلا – محمد المويلحى كتب «حديث عيسى بن هشام» ونشره حلقات مسلسلة قبل لطفى جمعةومن قبل هذا وذاك لبيبة هاشم وسليم البستانى وغيرهما كلهم اطلعوا على الادب الغربى وألفوا قصصا ، ولكننا لم نستطع أن نضع يدنا على قصة لأحد منهم تكتمل لها عناصر الفن القصصى الحديث كما كتب فى الغرب وكما كتب عندنا فيما بعد ·

تلك هى الظاهرة الغريبة التى كانت فى بدء حياتنا القصصية ، والتى قلت فى الاسبوع الماضى اننا سننظر فى أسبابها · وقبل أن نأخذ فى هذا النظر نلقى نظرة على قصة «فى وادى الهموم» لنرى هل هى جزء من هذه الظاهرة ، أو هى بدء للقصة المصرية بالمعنى الحديث ، كما يقول الاستاذ محمد رشدى حسن ، وبهذا – ان صح – ينهدم الاجماع السائد على أن قصة «زينب» لهيكل هى البدء الحقيقى ·

قال لطفى جمعة فى مقدمة القصة انه رغب فى أن يكتب قصة يرى الناس فيها معايبهم فيصلحونها ولا يريد أن يغشهم بتصوير الناس صورة جميلة ولكنها مخالفة للحقيقة · وذلك طبقا لمذهب بلزاك وزولا · وهذا كما قلت فى العدد الماضى وعى مبكر فى حياتنا الأدبية . ولكنه بعد ذلك عرض لنا الموضوع الذى سيتناوله وشرحه فى عشرين صفحة· وهو سقوط الرجل والمرأة «الرجل الساقط الذى أساءت اليه الهيئة الاجتماعية وجنى عليه أبوه ·· الخ ··» والمرأة «المسكينة المحتقرة المهانة الظالمة المظلومة التى أجبرها الفقر والزمتها الفاقة فباعت عرضها لتاكل بثمنه رغيف خبز يابس» وعرض للبحث موضوع سقوط المرأة ومن المسئول عنه ، ونقل مقالا من صحيفة «الجوائب المصرية» وأشار الى تقرير اللورد كرومر عن الرقيق الابيض · ومقال لفرح أنطون ، وبسط الكلام فى موضوع رواية «البعث»

لتولستوى ، واستنتج منه رأى تولستوى ٠٠ الخ ٠٠ ثم بسط رايه فى الموضوع ٠

وبعد أن شرح «القاعدة» شرع فى «التطبيق» فكتب القصة كتابة تدلنا على أن الاطلاع على الادب ومذاهبه شىء آخر غير كتابة الادب نفسه ، كتبها كتــابة «تعليمية» كل همه فيها أن يعبر عن رايه وافكاره ، فراح يسرد الحوادث سردا متلاحقا لا تكاد ترى فيه مشهدا مصورا او تفصيلات مميزة ، ووصف الشخصيات وصــفا خارجيا ، قدم كلا منهــا دفعة واحدة بالوصف لامن خلال الحركة والتجسيم وقسم القصة كموضوعات لكل منها عنوان وكثيرا ماينحى الاشخاص ويبرز هو ليتكلم بالنيابة عنها ، فهو مثلا أراد أن يحدثنا عن « فلسفة الزواج » فجعل البطل يقابل صديقا له من غير منــاسبة ويجرى الحــديث بينهما عن هذه الفلسفة ٠ والحب الذى تقوم عليــه القصة حب غريب غير مبرر فنيا ٠ وفى خلال ذلك كله خطب عن الفضيلة والرذيلة وجناية الهيئـــة الاجتماعية على الافراد ٠٠ الى آخر مالايتســـع له المقام هنا ٠

وبذلك جاءت القصة وجها آخر للانسان الخيــال السامى ، وهو وجه الانسان الساقط ، وضاعت بين الطرفين «الحقيقة الاجتماعية» التىقال لنا انهيرغب فى كتابتها ٠ وهذا ما قصدته حينما قلت فى العدد الماضى ان القصة جاءت بعــد لاهى (رومانتيك) ولا (ريالستيك) ٠

ويبدو لى أن لطفى جمعة لما قرأ رواية « البعث » لتولستوى أراد أن يمصرها بقصة فى «وادى الهموم» فاقتبس الحادث والموضوع ولكنه لم يهتــد الى سر المعالجة الفنية ٠

مرة أخرى ٠٠ أرانى مضطرا الى ارجاء النظر فى أسباب تلك الظاهرة الغريبة الى الاسبوع القادم ٠

البحث عن جسد

فى مراجعاتى للصحف التى كانت تصدر من نحو اربعين سنة رأيت نقدا لكتاب «عم متــــولى وقصص أخرى» لمحمود تيمور فى «المجلة الشهرية» بتــاريخ ديسمبر سنة ١٩٢٥ جاءت فيه الفقرة التالية :

«ولم تمكنا الفرصة من قراءة قصص المجموعة كلها ولــكن ما قرأناه منها يدل على ابتكار واضح فى فن القصة ٠ أخذنا مثلا قصة عم متولى ونحن فى شغل شاغل ٠٠ لنقرأ أسطرا منها ثم نعود اليها بعد الفراغ من شغلنا الشاغل ٠ ٠ولكن أبت القصة أن تتركنا ، وصارت لنا شغلا أشغل ٠٠ حتى أتينا عليها ، فعدنا الى ماكنا فيه ، وخفنا أن نتورط فى «مهزلة الموت» التى بعدها ، فالقينا الكتاب ناحية ونحن نعد أنفسنا بالعود الى هذه القصة لنعلم كيف استطاع الــكاتب تسمية الموت مهزلة وهى المأســاة العظمى والفاجعة الكبرى ٠٠ وان كان قد اخترع لنا شيئا يرينا الموت مهزلة فحبذا المخترع ونعم المخترع» وهكذا نقد المحرر عنوان القصة فقط ٠٠ لانه مشغول ٠

ذكرت هذا وانا اقرا أخيرا لكاتب فى احدى الصحف ينقد «الاسم» قصة ليوسف السباعى قام فى وهمه أنها قصة جنسية لان عنوانهــا المنقود «البحث عن جسد» وهى قصــة قديمة تحــول الآن الى فيلم سينمائى ولهذا أتيح لاخينا الكاتب الصحفى الناقد ان يطلع على الاسم ٠

فى هذه القصة تخيل الكاتب نفسه روحا صعد بها عزرائيل الى السماء ، وقد حــــدث عجز فى المستجدين بالحياة ، اذ زاد عــــدد المواليد المطلوب انزالهم الى الارض على الارواح التى تحل فىاجسامهم فاقترح عزرائيل على روح الكاتب ان تعود الى الحياة الدنيا فى جسد من أجساد أولئك المستجدين وحلت الروح باجساد أنماط مختلفة من الناس ، وآخرهم ملك ٠٠ وكان ذلك محنة لها ، اذ عانت ما عانت من الوصوليين والمنافقين والمفسدين ، وقد صب الكاتب فى هذا الاطار الخيالى طائفة من المشاعر والافكار ، وعنى خاصة بنقد المجتمع ومن كان فيــــه من قادة وساسة وملوك ٠

هذا هو مضمون قصة يوسف السباعى التى ينقد «اسمها» ذلك الكاتب فيقول :

«لماذا هذا الاسم بالذات ٠٠ لــــماذا تلك التورية العطرية ٠٠ الا ترى فى الاسم نداء لاهث (هـــكذا) للمراهقين والمراهقات !» ٠

هذه عينة من نقــد الذين ينقدون وهم فى شغل شاغل عن أن يشغلوا أنفسهم بتصفح ما ينقدون ، وعن أيسر قواعد اللغة التى يكتبون بها ٠

عباس خضر


وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم من تراثنا
عفاكهة الخلان في حوادث الزمان
تاريخ مصر والشام
القسم الأول
صفحة ٤١٦
تأليف: شمس الدين محمد بن طولون
تحقيق: محمد مصطفى
يطلب من: دار احياء الكتب
عيسى البابى الحلبى وشركاه
إعراب القرآن
القسم الأول
المنسوب إلى
الزجاج
تحقيق ودراسة: ابراهيم الأبيارى
٣٩٨ صفحة
يطلب من: المكتبة القومية
٥ ميدان عرابى
ت ٤٦٣٨٢
القول المقتضب
صفحة ١٧١
فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب
تأليف: محمد بن أبى السرور الصديقى الشافعى ..
تحقيق: السيد ابراهيم سالم : راجعه وقدم له : ابراهيم الابيارى
يطلب من : دار الفكر العربى

في عالم الفن

كشف حساب الموسم السينمائي

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

كيف يرتفع مستوى أفلامنا اذا كان عدد العاملين في الحقل السينمائي حوالي ٥٠٠ سينمائي بينما لا يزيد عدد المثقفين سينمائيا على خمسة في المائة ؟!

لا نتيجة لذلك سوى النتيجة التي سجلها تقرير المكتب الفني للشئون السينمائية .... ان هذا المكتب أنشأته المؤسسة المصرية العامة للسينما والاذاعة والتليفزيون في شهر يوليو الماضي ، وفي الاسبوع الماضي أذاع تقريرا جاء فيه بالحرف الواحد: (ان نزول الدولة ميدان الانتاج ـ اى القطاع العام ـ انما جاء بعد أن وصل الانتاج السينمائي الى حالة من الفوضى تطلبت العلاج السريع ، ومن ثم فان دخول الانتاج في القطاع العام هو الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى صناعة السينما ... ان جهود القطاع الخاص مبنية على مجهودات فردية مبعثرة ، دون أى تخطيط لصالح مستوى الانتاج) .

ان أهمية هذا التقرير أنه لايلقي الاتهامات جزافا، بل انه أول بحث في تاريخنا السينمائي يعتمد على الأرقام والاحصائيات ، وقد أشرف على اعداده أحمد بدرخان وهو سينمائي مثقف ، وبديهي أن الأرقام والاحصائيات لا تكذب ، بل تقدم الحقائق البحتة .

***

من بين هذه الحقائق نجد أن الموسم السينمائي الماضي عرض ٤٧ فيلما قام بانتاجها ٣٠ منتجا ... من أين جاء كل هؤلاء المنتجين ؟ ان هذا يدل على أننا لا تزال ننظر الى عملية الانتاج نظرة غير جادة ، وكان هذا منطقيا في الفترة التي تسميها « فترة أفلام الحرب » حينما احتشدت الاستوديوهات بالمنتجين المتخرجين من « وكالة البلح » اى الذين لا علاقة لهم بالسينما ، وكل مؤهلاتهم أنهم يمتلكون الأموال التي تغطي نفقات انتاج الافلام ، وطبعا كل هدفهم هو الحصول على الارباح بأى شكل ... كان ازدحام الاستديوهات بمثل هؤلاء المنتجين منطقيافي تلك الفترة ، ولكن كيف نعلل زيادة عدد المنتجين الى ٣٠ منتجا في الموسم الماضي ؟ معنى ذلك أن أى شخص يستطيع أن يتحول الى منتج سينمائي مادام يمتلك نفقات انتاج فيلم واحد ... بل أدهى من ذلك أن اى شخص يستطيع ان يتحول الى منتج ما دام يستطيع أن يحصل على هذه النفقات بالاقتراض ، وهذا هو مايسمونه «سلفة التوزيع» ، أى أن المنتج يلجأ الى شخص آخر يتولى تغطية نفقات الفيلم ، واسمه الموزع ، وطبعا هذا الموزع لا يدفع لوجه الله والفن ، بل للربح بأى شكل ، وبديهي أن انتاج الأفلام على هذا النحو لا يمكن أن يؤدي الى رفع مستوى السينما .

ايضا من بين الحقائق المستخلصة من الأرقام والاحصائيات أن بعض النجوم قاموا بأدوار البطولة في تسعة أفلام ، وبعض المخرجين أخرجوا ستة أفلام .. وهكذا .. كيف يمكن تصور ذلك ؟! افرض أن الحد الأدنى لتحضير وتصوير الفيلم هو ثلاثة شهور ؛ وهي فترة بسيطة جدا ! فكيف يستطيع النجم أن يؤدي دور البطولة في تسعة أفلام خلال موسم واحد الا اذا كانت السنة السينمائية « كبيسة » لدرجة أنها تتكون من سبعة وعشرين شهرا ؟! والمشكلة بالنسبة للمخرج أكثر تعقيدا ، لأن الممثل مسئول عن دوره فقط ، بينما المخرج مسئول عن الفيلم كله ... معنى ذلك أن نجومنا ومخرجينا ـ أو معظمهم ـ لا يعرفون معنى الاستعداد الفني ، بل يقفزون بين الاستوديوهات للحصول على الربح بأى شكل ، وبديهي أن ممارسة التمثيل والاخراج على هذا النحو لا يمكن أن تؤدي الى رفع مستوى السينما .

***

كذلك من بين الحقائق التى لوحظت فى الموسم الماضى أن المستوى الأدبى لموضوعات الأفلام لايزال ضعيفا .. ظهرت موضوعات مرتفعة المستوى نسبيا ، مثل اللص والكلاب (قصة نجيب محفوظ) وآه من حواء (قصة مقتبسة من ترويض النمرة لشكسبير) ، وأجازة نص السنة ، والناصر صلاح الدين ، والنظارة السوداء ، ولكن معظم الموضوعات تدور حول نفس الافكار والاحداث التى تدور أفلامنا حولها بسذاجةمنذ ثلاثين سنة، وهى عادةموضوعات محتشدة بالمصادفات والافتعالات والرقصات ، فضلا عن أنها لا تتناول اى مشكلة ولا تستهدف أى هدف غير استثارة الغرائز السطحية والتصفيق المفتعل ، والواقع أنالهدف الاول والاخير هو «شباك التذاكر» كما يتصوره سينمائيون دخلوا الاستوديوهات من أبوابها الخلفية ، وبديهى أن تأليف الموضوعات على هذا النحو لا يمكن ان يؤدى الى رفع مستوى السينما .

ولكن ... هل مجرد دخول «القطاع العام» ميدان الانتاج السينمائى يقضى على هذه العيوب ويرفع مستوى السينما ؟!

ان لنا تجربة سابقة فماذا كانت نتائجها ؟ سبق ان انشئت مؤسسة دعم السينما فى عام ١٩٥٧ ، وكانت أغراضها الرئيسية هى : اولا رفع المستوى الفنى والمهنى للسينما ، وثانيا تشجيع عرض الافلام العربية داخل البلاد وخارجها ، وثالثا اقراض المشتغلين بالانتاج السينمائى الهادف ، ورابعا الاهتمام بشئون المشتغلين بصناعة السينما، وخامسا منح جوائز لتشجيع الانتاج السينمائى والمشتغلين به ... فهل تحققت هذه الاغراض ؟ لم تتحقق بكل أسف ... او كانت قد تحققت لظهر أثر ذلك فى الافلام التى ظهرت بعد انشاء هذه المؤسسة بسنة أو بسنتين او بثلاث سنوات، ولكننا للآن لا نكاد نجد اى تقدم فى نشاطنا السينمائى ، بل بالعكس نجد أن تدهور المستوى السينمائى من أهم الاسباب التى حتمت انشاء القطاع العام ... اذن لماذا لم تحقق المؤسسة اغراضها ؟ اننا نلقى هذا السؤال لنتعمق فى بحث أسباب مشكلة السينما عندنا حتى يسير «القطاع العام» بوعى .

الواقع أن من أهم أسباب هذه المشكلة هى الثقافة : والتخصص ... وفعلا ادرك القطاع العام ذلك ، وفعلا بدا يضع مشروعاته على أسس مدروسة ، بل انه قام باعداد مجموعات من الدارسين لقراءة القصص واختيار الصالح منها للانتاج السينمائى بصرف النظر عن اسماء أو شهرة مؤلفيها ، أى على أساس الصلاحية الفنية فقط ، ثم أعلن — فى نفس التقرير الذى اعده المكتب الفنى السينمائى — أن الافلام التى سينتجها فى الموسم الجديد يبلغ عددها خمسة عشر فيلما ، وان قصصها هادفة من اجل تدعيم السينما وتمكينها من تادية دورها الاعلامى الخطير من اجل حياة افضل ، حاملة راية الاشتراكية والحرية والوحدة، كما أعلن ان الافلام التليفزيونية التى سينتجها يبلغ عددها عشرين فيلما ، وان هذه خطوة للقضاء على فوضى الانتاج فى الماضى ... الخ

***

ولا شك فى ان انشاء القطاع العام فى غاية الافادة ، بل انه سيفيد القطاع الخاص ايضا ، فقد بدانا نرى بعض السينمائيين فى القطاع الخاص يحاولون الاهتمام بمعالجة العيوب التى كانوا لا يفكرون اطلاقا فى معالجتها ، ومع ذلك فان عقليتنا السينمائية لا تزال تهتم بشباك التذاكر ، حتى فى القطاع العام ... فمثلا لاحظت ان هذا التقرير نفسه تحدث عن احد افلامه التليفزيونية حديثا حاول فيه تبرير «قلة ايراداته» ، ولم يحاول اطلاقا الحديث عن مستواه الادبى او الفنى ... واكثر من ذلك انه لم يذكر شيئا عن المستوى الادبى والفنى بالنسبة لاى فيلم من الافلام التى سينتجها ، بل انه — تقريظا لبعض أفلامه — قال انها من تأليف «كبار كتابنا» ... وانا لا ادرى معنى « الكاتب الكبير » بالنسبة للانتاج السينمائى، فمن المؤكد اننا حديثو العهد بالسينما ولغة السينما، وليس بين كتابنا الكبار من تخصص فى السينما . وافرض أن البدء بانتاج قصص كبار الكتاب يساعد على توفير مادة سينمائية غنية ، ولكن المهم — فى السينما — هو السيناريو ، فلماذا لم يذكر التقرير اى شىء عن السيناريوهات والذين اعدوها وكيف اعدوها ... الخ ... يخيل الى أن الاهتمام بالتنويه بان القصص التى سينتجها هى من تأليف كبار الكتاب دليل على تضخم «شباك التذاكر» فى اذهاننا ...

ان شباك التذاكر مهم ... ولكن المستوى

الثقافى اهم ، اى انه من الضرورى الاهتمام بالفن كاداة لتنوير الجماهير وخدمة الجماهير عن طريق العمل الفنى القائم على اسس فنية ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بالثقافة والتخصص .

مسألة اخرى : لاحظت ان بين المخرجين الذين اختارهم القطاع العام لاخراج افلامه بعض مخرجين يعتبرون من عوامل تدهور السينما ... والمدهش ان هؤلاء — وهم قلائل — لم يسيئوا الى السينما مضطرين ، بحكم رضوخهم لمنتجى « وكالة البلح» مثلا ، بل لانهم غير مثقفين ، فكيف اختارهم القطاع العام ؟! ان كثيرين ممن اختارهم ممتازون ، ولكن من اللازم ان يعيد النظر فى غير المثقفين .

مسألة ثالثة مهمة جدا : من الذى اوهم السينمائيين بان الفيلم المرتفع المستوى ثقافيا وفنيا لا يملأ شباك التذاكر ؟! ومن الذى اوهمهم بان جمهورنا لا يزدحم حول شباك التذاكر الا فى افلام هابطة المستوى ؟

اذن من الذى يملأ مقاعد دور السينما عندما تعرض افلاما عالمية غير جمهورنا ... ان هذا دليل يتكرر فى كل موسم ... ولدينا دليل اوضح ... ان افلامنا المحلية الممتازة نسبيا حققت ايرادات اضخم من ايرادات الافلام التافهة ... وصحيح ان بعض الافلام التافهة حققت ايرادات ، ولكن هذه ليست قاعدة ، فالغالب ان الافلام الاكثر ارباحا هى الافلام الافضل ...راجع ايرادات افلام الموسم الماضى ... ان تقرير المكتب الفنى السينمائى سجل هذه الحقيقة ... فمثلا سجل ان فيلم الناصر صلاح الدين حقق رقما قياسيا فى الايرادات ... والواقع ان هذا الفيلم من اكثر افلامنا امتيازا ، فقد بذلت فيه جهود فنية موفقة سواء فى الانتاج او التاليف اوالسيناريو او التمثيل ، وكان ممتازا فى الاخراج والتصوير بالذات ... ان لنجاح هذا الفيلم دلالات كثيرة ، فهو فيلم ليس فيه شىء من المثيرات التى يزعم غير المثقفين انها عوامل النجاح فى افلامنا ، مثل المشاهد الغرامية الصارخة ، او رقصات هز البطن ، او المشاجرات .. الخ ... لم يكن فى هذا الفيلم شىء من هذه المثيرات ومع ذلك تهافت عليه الجمهور تسعة اسابيع متتالية فى العرض الاول ، وسجل اضخم ايرادات الموسم كله .

***

ايضا نجح فيلم اللص والكلاب فنيا وجماهيريا .. وايضا لم تكن فى هذا الفيلم مثيرات من النوع الذى تحتشد به الافلام التافهة ، بل بالعكس ، فان الجو العام الذى دارت فيه احداثه كان شديد الجفاف ، ولكن مزاياه فى التاليف والتمثيل والاخراج والتصوير صنعت منه فيلما ناجحا ... بل اننى اذكر انه بعد ان انتهى اعداد هذا الفيلم لاحظ بعض السينمائيين ان احد مشاهده عسير الفهم على الجمهور ، ولكن المخرج اصر على عدم حذف هذا المشهد ، وتبين خلال العرض انه كان من انجح المشاهد عند الجمهور .

***

وفيلم « آه من حواء المقتبس من قصة ترويض النمرة لشيكسبير نجح ايضا ، رغم صعوبة تحويل افكار شيكسبير الى افلام ... ان الاقتباس عن شيكسبير مجازفة ليس فى استوديوهاتنا فقط ، بل فى الاستوديوهات العالمية ، ومع ذلك تقبله جمهورنا .

ايضا فيلم «اجازة نص السنة» ... هذا الفيلم تجربة جديدة ، فان نجومه جميعا من المواهب الجديدة ، ومخرجه يمارس الاخراج لاول مرة ، وفكرته جديدة وتختلف اختلافا جوهريا عن الافكار التى تعالجها افلامنا ، ومع ذلك نجح ، وسجل رقما قياسيا فى طول فترة العرض الاول بالنسبة لجميع افلام الموسم .

***

واذن فشباك التذاكر لا يتعارض اطلاقا مع المستوى ، وانما المصيبة ان بعض السينمائيين غير المثقفين يهتمون بشباك التذاكر من أجل شباك التذاكر ...

ان كشف حساب الموسم السينمائى الماضى يواجهنا بحقائق هامة من واجبنا ان نناقشها بفهم لنضىء الطريق لانتاج سينمائى أكثر امتيازا سواء فى القطاع العام أو القطاع الخاص ... ولكن القطاع العام يواجه مسئوليات أضخم ، وعليه ان يتحمل مسئولياته بالثقافة والتخصص .

عبد الفتاح البارودى

أخبار علمية وأدبية

****
****
****

● فاز فى الاسبوع الماضى بجائزة نوبل للادب شاعر اليونان «جيورجوس سيفيرس» كان الشاعر شاغلا لعدة مناصب دبلوماسية فى بعض دول الشرق الاوسط ، ومنها مصر خلال الحرب العالمية الثانية حيث كان سفيرا بها .

والمعروف أن هذه هى المرة الاولى التى يفوز فيها يونانى بجائزة نوبل ، والشاعر عمره الآن ثلاثة وستون عاما .

● لعبة «سيجة» بكافةاجزائها امكن استخراجها اخيرا سليمة من الحفائر التى تجرى فى منطقة افسس فى غرب تركيا وقدر عمر هذه اللعبة بنحو الفى سنة . ويعتقد خبراء الآثار أنها من عهد حضارة الحيثيين .

● تعقد الجمعية الادبية (٣ ش قوله .. عابدين) ندوة للشعر فى السابعة والنصف من مساء الثلاثاء القادم .

يشترك فى الندوة الدكتور عز الدين اسماعيل والاساتذة صلاح عبد الصبور ومحمد الجيار ، ومحمد محمود عماد ، وكمال نشأت ، وعبده بدوى ، وكيلانى سند ، والسيدة ملك عبد العزيز .

● نشرت ادارة الفضاء الامريكية تقريرا وافيا عن الخلايا الشمسية التى تحول طاقة الشمس الى كهرباء ، وكيف تتأثر هذه الخلايا بالاشعاعات فى الفضاء وتتلف ، وقد وزع هذا التقرير على الشركات والفنيين الذين يعملون فى هذا الميدان لعل احدهم يوفق الى ابتكار طريقة تطيل عمر هذه الخلايا التى تعد أهم مصادر الطاقة فى الاقمار الصناعية .

● نجحت التجارب الاولية لانتاج صاروخ يسير بقوة دفع الجسيمات الذرية المعروفة باسم «بلازما» وهى تكسب نموذجا صغيرا سرعة ٣٠ كيلومترا فى الثانية اى ضعف سرعة اى صاروخ معروف نحو خمس مرات .

واجريت هذه التجارب فى معهد البلازما فى المانيا . وينتظر ان يستخدم هذا الصاروخ بعد خمس سنوات فى اطلاق اول صاروخ المانى . وقال الدكتور «بيتر» مدير المعهد : ان هذا الصاروخ يصل الى اقصى سرعته اذا ما اطلق من حافة المجال المغناطيسى للارض ، فهو افضل صاروخ لغزو الفضاء فى المستقبل .

● اصدرت الدار القومية اخيرا فى سلسلة الكتاب الماسى رواية تاريخية عنوانها « انفاس الصباح » للاديب الاستاذ محمد حسن عبد الله المدرس بالكويت .

هذه الرواية الطويلة التى تقع فى اكثر من مائتى صفحة ، تناولت جزءا من تاريخ مصر ابان الحملة الفرنسية عليها .

● لدراسة اعماق المحيط الاطلنطى وما يحدث فيه من تيارات مائية عميقة ابتكرت النرويج نوعا من العوامات التى تغوص الى عمق ٣٢٠٠ قدم فى الماء ، وستنشر منها عددا بين جزيرتى فاروس وشتلاند .

وهذه العوامات اسطوانية الشكل ، وفى داخل كل منها اجهزة تسجل سرعة التيارات ودرجة الحرارة والملوحة ، وبها ايضا مصادر قوى تسمح بتشغيل هذه الاجهزة لمدة شهرين وارسال بياناتها الى المحطات الارضية ليدرسها الخبراء اولا باول .

● عين الاستاذ محمد مصطفى حمام الشاعر المعروف خبيرا بالقسم الادبى باذاعة الكويت .

الشاعر غادر القاهرة منذ ثلاث سنوات الى المملكة العربية السعودية ، ثم انتقل الى الكويت ليباشر مهام منصبه .

● عدد نوفمبر القادم فى سلسلة الثقافة الاسلامية التى تصدر بالقاهرة عنوانه « حول اعجاز القرآن » للاستاذ على العمارى .

● يعقد مؤتمر الناشرين الدوليين بالقاهرة فى منتصف شهر نوفمبر القادم .

البريد الأدبي

مسرحية من مقال

الى الأستاذ الزيات :

لم تثر اغتباطي وبهجتي مناسبة جد سعيدة مثلما اثارهما صدور مجلتكم الفذة « الرسالة » من جديد . لقد كنا يا سيدى ، طوال سنوات احتجابها، نشعر باننا في جوع دائم الى زاد الادب الصرف الذى « لا يمالق شهوات العامة ، ولا يمالىء نزوات الخاصة » ، ذلك الادب الذى يصل بين ماضي امتنا وحاضرها ، ويسجل اهم ما تجود به قرائح الكتاب المعاصرين في الفكر والثقافة والعلم والاجتماع والفن

لقد كنا يا سيدى ايتاما على مادب الادب اللئيمة الزائفة المغرقة في ضلال المذاهب والمدارس والاتجاهات المنحرفة . ولقد كان يظن ان معداتنا مريضة لا تهضم هذه الطعوم المستجدة الحديثة .. فكنا نرمى دوما بموت الذوق الادبي فينا ، ونتهم بالجمود تارة ، و « بالقدمية » ، وهذه احدى اصطلاحاتهم، طورا .

وكنا نحاول ان نناقش هؤلاء ، « ببغاوات الادب الرخيص المستورد » ، فلا نجد فيهم الا جهلا فاضحا ، كانما قد القت الطبيعة على قلوبهم اكنة ان يفقهوا حقيقة ادبنا وسحر بيان العربية .

ثم كانت عودة « الرسالة » الى الصدور، فعادت بعودتها لنا كرامتنا الادبية التى فقدناها سنوات قلائل هن في حساب الزمن الاوعن حقب طويلة .

وتتالت اعدادها ، فكان يسمح بدخول بعض منها الى قطرنا ، ويمنع بعض آخر ، ولست ادرى سر هذا المنع الحازم الا أن يكون من أوامر الساسة او شئون السياسة .

حتى كان صدور العدد ذى الرقم «١٠٢٢» الذى نشرتم فيه يا سيدى مقالكم « صورة من عهد الاقطاع » .

لقد قرات هذا المقال يا سيدى مرات خمسا ، ففى كل مرة كنت اطالع فيه جديدا لم اقع عليه فى المراة السابقة ، حتى وضحت لى رؤية الصورة بملامحها الدقيقة ، فتكشفت لى مدلولاتها القريبة والبعيدة عن اشياء واشياء ، فاذا هى صورة غنية الجوانب الانسانية ، رسمتها يد صناع ماهرة واذا كل جانب منها فصل في قصة ، واذا بجزئيات الجانب مشاهد روائية مسرحية تنبض بالحياة والحركة .

على انى لا ازعم لنفسى انى كاتب مسرحى شاء له القدر ان يعيش في الديار الشامية بعيدا عن ارض الكنانة حيث الأدب البارع والفن الأصيل . فلقد قدر لهذه الديار ان تغدو منكودة في كل شيء، وقدر لحملة الأقلام الصامتين أن يموتوا فى قبور صمتهم . فاذا بالميدان يعج بالدخلاء والمتطفلين ، واذا بالمسئولين الجاهلين يباركون هؤلاء اعمالهم . فكان ما بين اولئك وهؤلاء ، ما كان بين « التوحيدى » و « الصاحب » من علم وادعاء ، ومعرفة وغرور.

وهكذا وجدتنى يا سيدى ، وانا اقرا مقالكم ، الاحظ واقيس ، واعاين واجرب ، واتخيل واسجل، واقارن واوازن ، واحلل وارسم ، حتى انتهيت من تأليف مسرحية « عنقود العنب » وانا بين امل ورجاء فى ان اقدم للمسرح او «التليفزيون» خلاصة تجربة ونتاج قلم ، فاية مجلة يا سيدى اولى بان ترعى من مجلتكم ؟ واية وزارة اولى بأن تحتضن من وزارة الدكتور حاتم ؟ واى مجتمع اولى بان يعرف ماضيا اليما عاناه ، وحاضرا زاهرا يحياه من مجتمع الجمهورية العربية المتحدة ؟!

ارجو يا سيدى والح فى الرجاء ان تقرءوها بما عرف عنكم من انصاف فى النقد الادبى ، فقد تستحق من مجلتكم نشرها تباعا ، او قد تستاهل من وزارة الدكتور حاتم ان تراعى فتقدر فتقيم ، او قد تفوز بأن تمثل على مسرح، او من وراء شاشة «تليفزيون»

مصطفى الايوبى ـ حلب

استاذ الادب العربى فى دار المعلمين

● الرسالة : نرجو ان نكون عند حسن ظن الكاتب الاديب

تأملات فى قصيدة معبد رمسيس

طلعت علينا الرسالة فى عددها (١٠٣٠) بقصيدة للاستاذ حسن فتح الباب تحت عنوان « معبد رمسيس » والحقيقة العارية ان القصيدة مشحونة بصور رائعة بغض النظر عما بين بعض هذه الصور من غرابة الصلات الفنية وبعد القرابة بين ملامح اجزائها

والذى يعنينا هنا ان القصيدة من « البحر السريع » وموسيقا هذا البحر :

مستفعلن مستفعلن مفعولات

« مرتين » .

وجميع ابيات القصيدة عروضها مطوية مكسوفة والمطوى ما سقط رابعه والمكسوف ما سقط متحرك وتده المفروق (كان اصله « مفعولات » فحذفت منه الواو فبقى « مفعلات » ، وأسقطت منها التاء فبقى «مفعلا» فنقل الى « فاعلن »)

واما ضرب كل بيت من ابيات القصيدة فمطوى موقوف والموقوف ما سكن متحرك وتده المفروق (كان اصله « مفعولات » فطوى وبقى « مفعلات » فسكنت التاء فبقى « مفعلات » فنقل الى « فاعلان »)

وفى ضوء هذه المراحل الموسيقية يكون وزن القصيدة كلها

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلان

وبالمقارنة الموسيقية بين البيتين التاليين من القصيدة :

والشمس ما رفت على صرحه
الا لمجد منه ضاق السعود
« كم عبدت فى ساحه وانحنى
» زلفى اليها الفاتحون الصيد »

نجد ان ضرب البيت الثانى لم يخضع لموسيقا (فاعلان)

وكذلك فى قوله :

من زهر اللوتس (تيجانها) بعض النشاز الموسيقى اللهم الا اذا كبدنا « السين » عبء التضعيف وفى ذلك ايضا تشويه لموسيقا اللفظ عند النطق به .

على الصياد

حول الثورة الدينية الرابعة

دارت مناقشات هادئة هادفة على صفحات « الرسالة » الفيحاء حول « الثورة الدينية الرابعة » .. وقد ابدى عدد من القراء الافاضل آراءهم فيما يجب ان تكون عليه هذه الثورة .. وما يجب ان تشمله من نواحى النشاط لتكون كاملة الاطار متكاملة الجوانب ... والواقع ان هناك ملاحظة هامة اغفلها الذين تصدروا للكتابة فى الموضوع .. تتعلق بالأداة القادرة القوية التى يمكنها ان تحدث هذه الثورة .. ونحن اذا اغفلنا هذه النقطة بالذات فلن تخرج مناقشاتنا الى حيز التطبيق العملى .. وستبقى كلاما لا مفهوم خارجى له كأية مناقشات كلامية غير هادفة ..

لقد احدثت الثورة السياسية الكبرى التى قامت سنة ١٩٥٢ م تغييرا شاملا فى الهيئة الاجتماعية وتبع هذا التغير تغيير اكبر فى النظرة الى تاريخنا السياسى والقومى .. ولئن بدا هذا التغيير محدود الافق . ساذجا فى مستهله فان الثورة فى الفترة الأخيرة قد تنبهت الى هذا الامر ولعل فى مشروع وزارة الثقافة الخاص « بتجريد تاريخنا القومى والسياسى » والذى دارت حوله المناقشات عنيفة فى الأيام الاخيرة على صفحات الجرائد وفى المجلات .. لعل فى هذا المشروع اكبر دليل على نضج النظرة وصدقها ... والذى اريد الوصول اليه .. ان الأداة القادرة على تجريد تاريخنا السياسى كله هى وحدها القادرة على قيادة الثورة الدينية الرابعة من أجل الدين وفى سبيل تجريد علومه مما لحق بها . . ثم هى قادرة بعد هذا على اتاحة الفرصة كاملة لتظهر البحوث والمناقشات فى صورة وضاءة مشرقة يصل نورها الى الناس لا ان تظل محجوبة فى الادمغة او فى اكبال وسائل نشر محدودة ... ان المناقشات حول الثورة الرابعة يجب ان تتجه الى هذه الاداة .. رافعة اليها امل المخلصين من ابناء الامة. واذا ما وصل هذا الصوت الهادف .. وتبعه فتح الباب على مصراعيه فى حرية تامة .. وخرجت جيوش الدارسين منظمة متعاونة تحت راية الاخلاص والحق ... اذا ما توافر هذا امكن لنا ان نضمن نجاح الثورة الدينية الرابعة . !!

عبد الحليم عبد الفتاح عوس

قصة العدد

اليقظة

بقلم الدكتور نجيب الكيلانى

صعد « عبد الجواد » السلم الحجرى الذى يتلوى كالافعى ، كان يلهث لهاثا ملحوظا ، وجبينه الاسمر الشاحب يتفصد عرقا ، وبعد ان بلغ السطح — فوق الدور السادس — لفحت وجهه المنهك المندى نسمة عابرة ، فاشاعت فى كيانه انتعاشة خفيفة ، كانت الحجرة التى يقطنها هو وزوجه متهالكة كالحة وكانها مخزن للقمامة ، ولم يكن يجعلها مقبولة لديه سوى ذلك الفضاء الممتد امامها لا يشاركه فيه احد ، فاذا ما ترك حجرته الى تلك الرحبة شعر بما يخالج الحبيس فى قمقم وقد عادت اليه حريته ، وملأ صدره بالهواء ، ومد بصره الى بعيد حيث العمارات الشاهقة والمآذن والمداخن وعالم القاهرة الصاخب الموار ..

ولم يكد يلقى بجسده على المقعد الخشبى امام باب الحجرة حتى هرولت اليه « نفيسه » تحمل فى يمينها منشفة مهترئة وفى يسارها قلة نظيفة باردة الملمس ..

***

كانت الارض تدور من حوله ، وطنين غامض ملحاح يملأ اذنيه ويصدع راسه ، ويسدل على بصره غشاوة رقيقة تجعل المرئيات امامه مختلطة متداخلة لا توحى بغير الضيق والابهام والملل .. كل شىء من حوله يثير الغثيان .. كل شىء بلا معنى .. المصنع الذى يعمل فيه ، سخريات العمال منه ، ضجيج الآلات ، صفارات البدء والراحة وانتهاء العمل .. الترام المزدحم بالركاب ، الشوارع الغاصة بالمارة والباعة والعربات ... كل هذا لا شىء فى نظر « عبد الجواد » .. فراسه يكاد ينفجر .. واحشاؤه تتلوى فى الم وساقاه لا تكادان تحملانه ..

وجاءه صوت « نفيسة » نديا رقراقا فيه دفء وحنان : —

— « حمدا لله على السلامة يا عبد الجواد »

فرفع اليها عينين محتقنتين زائغتين وقال : —

— « اكاد اجن » .

ادركت ماذا يقصد ، لكنها انغضت راسها فى اسى دون ان تند عنها كلمة واحدة ، وعلى الرغم من ان صمتها كان يحمل فى طياته الاجابة القاسية المعروفة سلفا الا انه هدر بصوت جريح : —

— « معك فلوس ؟؟ خمسة قروش فقط يا نفيسه .. فى عرض النبى .. »

***

لم تر عيناه الدمعة التى افلتت من بين اهدابها السمراء الفاتنة ، وانحدرت على وجنتها الوردية البضة ، كل ملامح وجهها — برغم الاسى — كانت فاتنة رائعة ، لكنه كان يبحث عن شىء يتدلى من اذنيها ، او يحيط بعنقها ، او يزين معصمها واصابعها ، لكنها كانت انموذجا فريدا للجمال العارى من كل حلية .. بلا اقراط .. بلا اساور .. بلا عقد .. وهمست فى حزن : —

— « لم اعد املك شيئا .. انت تعرف .. »

ثم تنهدت فى الم واستطردت : —

« الن يتوب الله عليك .. »

فهب واقفا والشرر يتطاير من عينيه ، وقد اكتست سحنته بلون داكن مخيف ، ثم امسك بزندها فى عنف حتى كادت اصابعه المتشنجة تغوص فى لحمها وهزها فى جنون قائلا : —

— « ليس المهم التوبة الآن ايتها الغبية .. »

همست بصوت باك والرعب يسيطر عليها : —

.. « انا لا افكر الا فى سعادتك .. »

***

قال وهو يدفعها بعيدا عنه فى جفوة ، وضحكة هستيرية تنطلق من بين شفتيه الجافتين : —

— « سعادتى فى ان احصل فورا على « الأفيون » .. انه دوائى .. وروحى وحياتى .. استطيع ان استغنى عن كل شىء الاه .. اتفهمين ؟؟

نحت « نفيسه » القلة جانبا ، ثم اخذت تجفف دموعها ، وقالت وثورة عارمة تضطرم فى اعماقها خفية : —

— « لم يعد لدينا ما نبيعه .. »

.. « لأنك حمارة .. لا تفهمين .. »

كان يتكلم بلا وعى او منطق ، حينما يشعر بالحاجة الى « الكيف » ويعجز عن الوصول اليه ، يتحول الى حيوان شرس هائج ، ثم يتهاوى ككتلة من الأسى الضارع ، ويظل هكذا فى شبه غيبوبة يترنح ويتخبط حتى يصل الى ما يريد فيعود اليه الهدوء والسكينة ، ويرتمى الى جوار « نفيسة » سابحا فى اجواء من الوهم والسعادة الكاذبة ... كان يخيل اليه انه لو عاش بلا « افيون » فسينتهى امره الى خاتمة تعسة محزنة ..

***

وغمغمت نفيسه ونظراتها الوجلة مسددة اليه :—

— « ليس لى فى الأمر حيلة » .

فران عليه هدوء مباغت ، وبانت فى عينيه وعلى ملامحه الرقة والوداعة ، وهتف ضارعا : —

— « اعطنى قدمك فاقبلها.. انقذينى هذه المرة .. ساكون دائما طوع امرك .. بل خادمك الامين .. روحى فى يدك يا نفيسه .. »

وهكذا تحول « عبد الجواد » من العنف والشراسة الى الرقة والوداعة كان على استعداد لان يفعل اى شىء ، ويدفع اغلى ما يعتز به حتى ينال قطعة صغيرة .. تافهة .. قاتمة اللون .. من الافيون .. لكن العين بصيرة ، واليد قصيرة .. ولا حل فى نظرها .. وفى النهاية .. وثب عليها كوحش ، ثم اشبعها ركلا وصفعا ، وبعد لحظات كان يهبط السلم الطويل كمجنون ، واملة كبير فى ان يرق المعلم « حموده » لحاله . ويعطيه قدرا يسيرا من الأفيون على أن يسدد له دينه بعد غد .. يوم تسلم المرتب ..

***

استقباله المعلم حموده فى فتور ، واستمع الى توسلاته وضراعاته دون اكتراث ، وقال وابتسامة صفراء ترقص اسفل شاربه الكث : —

— « يفتح الله .. »

— « لكنى سارد الثمن مضاعفا .. »

— « كان على عينى .. »

وتمتم عبد الجواد فى يأس قائل : —

— « اليس هناك حل ؟ »

***

وكم كانت دهشة عبد الجواد حينما راى المعلم « حموده » يرفع اليه وجها مستبشرا يطفح بالسعادة . عند ذاك عاوده الامل . فاقبل على المعلم فى لهفة ، وعيناه مسمرتان على شفتيه ..

وهمس حموده : —

— « هناك حل واحد .. »

— « ماهو ؟؟ »

قال حموده وهو يغمز باحدى عينيه : —

— « نفيسه .. »

وهتف عبد الجواد وهو لا يفهم ماوراء كلمات « حموده » الخبيثة : —

— مالها نفيسه ؟؟ »

***

— « لترسلها الى الليلة .. ليلة واحدة فقط .. ساعطيك قرش افيون بحاله .. هل تفهمنى ؟؟

ودارت الارض بعبد الجواد ، وامتلات راسه بضجيج بشع هائل ، لم يعد يرى شيئا سوى السواد الضاق الذى صبغ الوجود من حوله ، باع بالامس كل شىء ليحصل على الافيون .. واليوم يريدون أن يبيع شرفه .. يبيع نفيسه الطاهرة .. كل شىء حوله بلا معنى .. وحاول عبد الجواد ان يفيق الى نفسه ، وفتح عينيه من جديد ليرى الابتسامة الصفراء على ثغر المعلم حموده الذى قال : « اظنك موافقا يا عبد الجواد .. »

لم يتكلم عبد الجواد ، وفى سرعة خاطفة ، استخرج « مدية » صغيرة من جيبه ، واسكنها فى قلب المعلم حموده ...

دكتور نجيب الكيلانى



الدار القومية للطباعة والنشر